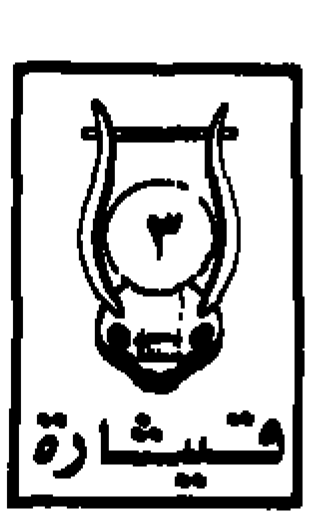






تأليف
مجدي صابر

نجمة الحب



روايات الجيل الرومانسيّة



نجمة الحب

تأليف
مجدي صابر

دار الجيل
بيروت

الطبعـة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م

« أبطال... وكومبارس »

صاح المخرج : سكوت.. سنبدأ التصوير حالاً.. الأستاذ حاتم شريف هل أنت مستعد ؟

وأجابه صوت ناعم هادئ من الخلف: سأنتهي حالاً.

وكان الماكيير يضع لمساته الأخيرة على وجهه ليبدو ملتمعاً متألقاً أمام العدسات.. كان وجهه مستديراً بجبهة متسعة ووجنتين تتفجران صحة وعينين بلون صفحة البحر في سكونه.. كان له أنف رقيق أملس وشفتان ممتلئتان تتفجر منها الدماء.. وشعره الأسود الملتمع المصقول بالكريمات قد استقر فوق أعلى جبهته ليضفي عليه وسامة زائدة، وصارت تلك التسريحة موضة للشباب الذين اندفعوا يقلدون النجم الشهير في كل شيء.. ابتسامته.. نظرة عينيه..

طريقته الساخرة في إلقاء الكلام.. ملابسه على آخر الصيحات.. وحتى تسريحة شعره.

زفر المخرج في ضيق.. تعطل التصوير أكثر من ساعة انتظاراً لحضور حاتم شريف، وها هو يتعطل ثانية من أجل أن يضع مكياجه ليبدو أمام الكاميرات كأبهى ما يكون.

والتفت المخرج إلى الناحية الأخرى هاتفاً : الأستاذة فاتن سلامة مستعدة ؟

وأجابه صوت رقيق به رنة موسيقى : إنني جاهزة.

وكانت تلقي نظرة أخيرة إلى مرآة صغيرة بأحد الأركان واطمأنت إلى ملامحها.

كانت فاتنة بحق.. وجه خمري مستدير رقيق.. حاجبان سوداوان وعينان صافيتان يتألق لؤلؤهما الأسود مكان المقلتين.. نهايتهما مسحوبة تشبهان عينا كليوباترا أو نفرتيتي.. ولم تكن بها حاجة لأن تزججهما بالكحل الأسود، لأن سوادهما كان يبدو طبيعياً فاتناً.

بقية ملامح الوجه كانت لا تقل فتنة.. الأنف ناعم رقيق كأنه لطفلة صغيرة، والفم مثل حبة فراولة صغيرة ناضجة شهية انقسمت نصفين.. والذقن مستدير في بهاء

ولطف تستقر في منتصفه نغزة صغيرة محببة.. أما الشعر فبلون سنابل القمح الناضجة قد انتشر حول الوجه في عبث رائع، فقد كان المشهد يتطلب أن تبدو في حالة فزع ورعب.

استدار المخرج إلى جهة ثالثة في نهاية الأستوديو وهو يقول : « الكومبارس مستعدون » ؟

أجابته على الفور صيحات خشنة تلبي النداء. عاد المخرج يسأل : حمدي بوكس جاهز ؟

لم يجبه صاحب الاسم على الفور كأنما من يحمله لا وجود له، وبلهجة غاضبة كرر المخرج نداءه : حمدي زفت جاهز ؟

انتبه حمدي.. ارتعشت أصابعه على كلمة السباب التي وجهها له المخرج. رفع عينيه بصعوبة عن الوجه الذي كان يحدق فيه عن بعد، وكسى صوته مرارة وهو يرد : إنني جاهز.. يا أستاذ.

لم يلتفت المخرج لإجابته.. وعاد يسأل بنفاذ صبر لا حيلة له فيه : الأستاذ حاتم شريف جاهز ؟

ــ سأنتهي بعد لحظة.

عاد حمدي يحدق في نفس الوجه. وكانت فاتن سلامة

واقفة على البعد تتبادل حديثاً باسماً مع المخرج. راقبها حمدي بشغف ووجه شاحب وأنفاس مكتومة. أخذ يتملى من ملامحها للمرة الألف.. يبحر في أعماق عينيها.. يداعب أنفها بأنفاسه عن بعد.. يتمنى لو يمس شفتيها الرائعتين، لو أنه يمسك بأصابعها الرقيقة الناعمة بين أصابعه الخشنة القاسية. بدت أمامه في فستانها الأزرق ذو الدانتيلا البيضاء في الأجناب كأنها فراشة كبيرة رائعة الألوان والتنسيق، أو كأنها حورية أخطأت الطريق إلى الجنة.

كان حمدي قد أتى إلى مكان التصوير مبكراً ساعتين.. لا أحد يدري السبب الذي يأتي به إلى مكان التصوير، حتى في الأيام التي لا يكون له دور فيها، لا أحد يعرف السر غيره. وما كان باستطاعته أن يشي به لأحد أبداً. كان مجرد كومبارس. شخص يظهر لحظات خاطفة على الشاشة في عراك مع البطل.. وبالطبع لا بد أن ينتصر البطل عليه.. فالبطل هو النجم والكومبارس ليس أكثر من كومبارس.. الكومبارس يعني الهزيمة والسقوط في الوحل.. وإذا ما تصارع الخير والشر فلا بد أن ينتصر الخير وأن يسقط الشر مهزوما مصروعا.

وكان المشهد التالي يمثل الصراع بين الخير والشر.. البطل والكومبارس، فالبطل هو حبيب البطلة وهما يفران من وجه عصابة أرادت اختطاف البطلة، والبطل قد جاء لإنقاذها. والبطل لا بد وأن ينتصر.. ولذلك يجب أن يضرب كل الكومبارس مهما كان عددهم.. وحتى لو كان أحدهم في قوة حمدي بوكس.. حمدي الذي لم يهزمه إنسان على أرض الواقع أبداً، ويشهد له حي السيدة زينب ببطولات وجولات وصولات يستخدم فيها قبضته الرهيبة.. ومن هنا جاءت التسمية.. حمدي بوكس.. لا أحد يجرؤ على إغضابه أو الوقوف في وجهه أبداً.اندفاعه في معركة أسهل عليه دائما من فض المشاكل بالتراضي. طوله فارع وجسده قوي مليء بالعضلات. ملامحه خشنة رجولية. جبهته عريضة قاسية بها أثر جرح قديم. أنفه صلد قوي وشفتاه واسعتان جافتان. شعره قصير قد تبعثر فوق جبهته بلا ضابط. ذراعاه مفتولتان تنمان عن القوة التي تحتويانها. راحتا يديه خشنتان وجلد قبضته يحمل آثار جراح عديدة قديمة. فانلته الرخيصة ذات النصف كم كشفت تناسق صدره وذراعيه وفتوتهما. وبنطلون الجينز الأزرق ظهرت عليه آثار البلى وحال لونه.

وحذاؤه الرياضي قد ظهر عليه أنه بحاجة للتغيير فقد أوشك على التمزق في المقدمة.

ليس هناك أحد في حي السيدة زينب لا يعرفه.. ينتصر في الحي للخير دائما. أما في السينما فهو لا يزيد عن كونه شراً يجب هزيمته. وتذكر حمدي المشاهد الخطرة التي قام بأدائها بدلاً من حاتم شريف عندما تدحرج من فوق أحد التلال الخشبية ذات الصخور الحادة وتسلخت يداه وقدماه بشدة.. ومشهد آخر قفز فيه من علو خمسة عشر متراً، ومشهد ثالث اقتحم فيه بسيارته جداراً من الحجارة.. وفي المشاهد الثلاثة كان المفروض أن يؤديها حاتم، وبالطبع رفض فتقدم حمدي لأدائها وارتدى ملابس حاتم وصورته الكاميرا من ظهره ومن بعيد. وكان يعرف انه عندما يكتمل الفيلم ويشاهده الجمهور سيظن أن البطل الوسيم حاتم شريف هو الذي أدى هذه اللقطات الخطرة فيصفق إعجاباً، ولن يحس انسان في العالم بوجوده، ولا بطولته الحقيقية التي تقاضى ثمنها جنيهات تافهة لا تساوي ثمن حذاء حاتم شريف. تكدرت ملامح حمدي لهذا الخاطر.. وشاهد أمامه حاتم شريف ينهض في بذلته السوداء

الأنيقة المستوردة من باريس وثمنها لا يقل عن ألفي جنيه. ألفا جنيه مبلغ لم يحلم حمدي بوكس بإمتلاكه أبداً عمره كله. صاح المخرج : الكاميرات تستعد.. هدوء.. أستاذ حاتم هل ألقي عليك دورك ؟

بصوت باسم متفاخر أجابه حاتم : لا داع لذلك.. إنني أحفظه تماما.. المهم ألا يتسبب هؤلاء الكومبارس الأغبياء في إعادة المشهد كعادتهم. فإنني متعجل، لدّي تصوير في فيلم آخر.

أحسّى حمدي أن العبارة موجهة له، كأنها تطعنه شخصيا.. في حين أنها كانت عبارة معتادة من كل النجوم والأبطال الذين قام بأداء عدة مشاهد صغيرة أمامهم.. الكومبارس في نظرهم ليس أكثر من « شيء » عليه أن يُحسن أداء دوره وألا يتسبب في تعطيل « البطل » والذي وقته أثمن من الذهب.

وقبل أن يهتف المخرج متسائلاً، أجابته فاتن بصوتها العذب الموسيقي : إنني مستعدة تماماً.. هل نبدأ ؟

التفت المخرج قبل أن يجيبها إلى مجموعة الكومبارس متساءلا : جاهزون ؟ تعالت أصوات خشنة من المجموعة

ذات الملابس المتنافرة والوجوه المختلطة المشوشة تجيب نفس الإجابة. واقترب المخرج من حمدي قائلاً : لا أريد إعادة المشهد فيكفينا التعطيل من الصباح، هل حفظت دورك جيدا ؟

بهدوء أجابه حمدي : تماماً.

سأسرده على مسامعك مرة أخرى وإلا سيكون الحساب قاسيا وسأخصم أجرك عن اليوم كله.. سوف تأتي سيارة الأستاذ حاتم والأستاذة فاتن وتتوقف أمام منزلهما.. وفي اللحظة التي يهبطان فيها ستندفع أنت وعصابتك تحاولون اختطاف فاتن.. ستجذبها من يدها وأنت تمسك في يدك الأخرى سكينا تهددها بها.. في هذه اللحظة يندفع حاتم نحوك ليضربك ويسقط سكينك.. ويهجم عليه فردان من العصابة فيصرعهما.. وتعاود أنت هجومك عليه بقطعة خشب كبيرة ولكنه يصد ضربتك ويوجه لك لكمة تسقط على الأرض بسببها.. ثم تنهض لتهرب أنت وبقية أفراد العصابة.. مفهوم ؟

هزّ حمدي رأسه بصمت، وصاح المخرج به بغضب : أريد أن أسمع صوتك، هل انقطع لسانك ؟

غمغم حمدي : مفهوم.

هذا حسن.. استعدوا.. (ولأستاذ حاتم والأستاذة فاتن وهما يركبان سيارتهما) استعدوا للتصوير.. الكاميرات تدور.. سكون.. أكشن.

وساد صمت شديد وقد تحركت السيارة بداخلها حاتم وفاتن، وأخذا يتبادلان حديثا باسماً ودوداً. وتوقفت السيارة أمام المنزل. وما أن همَّا بالنزول منها حتى اندفع أفراد العصابة نحوهما.. وبوغت الإثنان لحظة وظهر الخوف والتوتر على وجهيهما.

كان المشهد يتطلب أن يجذب حمدي فاتن بيده اليمنى من يدها اليسرى على حين يمسك السكين بيده الأخرى مهدداً..

وكان قلبه يدق بعنف طاغ وهو يندفع نحو السيارة.. كأن دقات قلبه قرع الطبول.. هزيم الرعد في أذنيه.. لا يكاد يصدق أنه سيمسك يدها.. هذه اللحظة ظل يحلم بها أسابيع، وكان يتعجل الأيام والساعات والثواني منذ قرأ سيناريو الفيلم.

وها هي اللحظة الموعودة قد جاءت أخيراً.

واندفع حمدي نحو فاتن بلا وعي وتلاشت المرئيات والأصوات من حوله.. سكون رهيب سقط على عقله وحواسه.. كانت هي واقفة أمامه، عيناها ناطقتان بالذعر والخوف.. أطرافها ترتعش من الرعب.. صرختها ماتت على شفتيها المرتعشتين هلعاً وهولاً.. في ملامحها وقسماتها توسل ورجاء. كاد يتوقف ويتسمر في مكانه.. ملامحها جعلته يظن أن خوفها حقيقي وأنه يسبب لها كل هذا الرعب.. كاد يلقي بسكينه ويهرع إليها جاثياً يطلب منها عفوها وسماحها.. يمسح دموعها التي كادت تسقط من عينيها المعذبتين.. دموع هي أثمن من اللؤلؤ وأندر من الماس.. ثم تذكر أن كل ما يشاهده تمثيل.. وأن خوفها منه ليس أكثر من أداء تمثيلي. مشهورة هي باندماجها في تقمصها لشخصياتها.. من أجل هذا توجت ملكة على الشاشة في عامين فقط منذ ظهورها لأول مرة على الشاشة.واصل حمدي اندفاعه نحوها.. امتدت يده وهي ترتعش نحو يدها.. لم ترتعش يده في حياته أبداً فلماذا ارتعشت هذه اللحظة.. كأنها ليست يده.. مسلوبةمنه.. خارجة عن إرادته.

وعندما لامُست أصابعه الخشنة يدها الرقيقة أحس بمس النار يسري في عضلاته.. أحس بخدر يشمل كيانه.. قبس من الجنة قد تمثل لعينيه من فرجة واسعة لا نهائية من فرط السعادة.. روح عذبة صافية نقية قد سرت من يدها الهشة الرقيقة إلى تفاصيل جروح يده القاسية.. كم تخيل هذه اللحظة.. كم تمنى أن يقف أمامها بطلاً لأحد أفلامها.. كم حلم بذلك. ؟ كم عاش في أوهام الخيال. ؟

وها هي اللحظة تتحقق.. الأمل يدنو.. حقيقة أنه ليس بطلاً ولا يزيد عن كونه كومبارس يؤدي مشهد صامت لا يستغرق أكثر من ثواني أمامها.. ولكن أي سعادة تغمر روحه وهو يدنو من شمسها ويتمتع بدفء أشعتها، ويتخدر من عطر أريج أنفاسها. ما أمتع هذا اللحظة حتى أنه تمنى لو توقف الكون وثبتت الأشياء وهو قريب منها تكاد أن تطير به أجنحة السعادة.

وخيل لحمدي أن يدي فاتن انتفضت.. جسدها كله ارتعش رافضاً.. ذعرها لم يكن تمثيلا هذه المرة.. كأنها لا تحتمل لمسة أصابعه لها ولو كان في غير دنيا الحقيقة.. ارتجف لهذا الخاطر.. تطلع إلى عينيها في توسل وألم..

طالت نظرته الصامتة إليها في مرارة وحزن وألم.

أفاق على الصوت الزاعق من خلفه.. اندفع المخرج نحوه بغيظ شديد وهو يهتف فيه : أيه يا أستاذ.. هل ظننت نفسك بطلاً « وجان بريمير ». أنت كومبارس وليس مطلوبا منك هذه الرقة.. مهمتك أن تجذبها بعنف وليس أن تتملى من عينيها كما لو كنت عاشقاً.

أصابه اضطراب عنيف.. أحس كأنه يتعرى أمام الجميع.. خاصة أمامها هي.. ونظرت فاتن نحوه نظرة ضيقة بها خليط من الغضب والاستنكار واللوم.. وأمسكت يدها موضع لمسته في ألم كأنما أصابعه كانت ناراً لم تحتمله يدها.

التفتت فاتن نحو المخرج وتساءلت بصوت رقيق شاحب : ألا يمكن أن نعيد المشهد بدون أن يضطر إلى مسك يدي وجذبي منها ؟

أصابته الكلمات في الصميم.. أحس كأنها طعنة قاتلة تنهش في جراح قديمة. ها هي اللحظة الموعودة تضيع وتنقضي.. ها هو الأمل يصير سراباً وقبس الجنة يطفئ أنواره ويغلق أبوابه.. ها هي ساعات وثواني الانتظار واللهفة

قد تحولت إلى ألم قاتل.. إنها ترفضه، ترفض حتى لمسته لها.. وهو الذي يضعها في صدره مكان القلب وفي جسده مكان الروح وفي رأسه مكان العقل والإدراك.

اقترب حاتم ساخراً وهو يقول: يجب أن تدربوا هؤلاءالكومبارس على الرقة قبل أن تجعلوهم يمسكون أيدي النجمات الرقيقات.. ليس لدينا وقت ليضيعه هؤلاء الأغبياء.

تطلع إليه حمدي بصمت.. كان يتمنى لو انشقت الأرض واختفى من أمام عيون الجميع.. لو أنه صار في زمان ومكان آخرين.. لو أنه لم يوجد على تلك الأرض أبدا ولا في هذا المكان.

فكر المخرج لحظة ثم قال: لا بأس.. اسمع يا حمدي.. سوف تندفع نحو فاتن وتهددها بسكينك ولكن بدون أن تجذبها من يدها.. وفي اللحظة التالية يندفع إليك حاتم ويضربك.. مفهوم.

حانت من حمدي نظرة نحو فاتن.. كان وجهها ناطقاً بالموافقة.. كأنها كانت تريد أن تقترح ذلك حتى قبل تصوير المشهد أول مرة.

ألهذه الدرجة كانت لمسته لها قبيحة مؤلمة كأنها سم

زعاف.. وتذكر أنه ليس أكثر من كومبارس عليه ألا يدنو من بريق النجوم وسمائها.

وزعق المخرج في غضب : سألتك إن كان كلامي مفهوم أم لا. ؟ !

استدار حمدي نحو المخرج قائلا بصوت مشروخ متألم : مفهوم يا أستاذ.

ــ سكون.. ستعيد تصوير المشهد.. كاميرا.. أكشن.

اندفع نحوها مرة أخرى.. ها هي أمامه ثانية على مسافة أقل من ذراع منه.. ولكنها بعيدة بعيدة كأنما يفصله عنها ما بين موطئ الأرض وهامة السماء.. ما بين ديدان الطين وعلو الكواكب والنجوم.

سكينته في يده.. يتحاشى النظر في عينيها.. في حياته كلها لم يرفع سكينا أبداً في وجه إنسان.. وعندما كان يلاقي رجلاً كان يستعمل قبضته. كان له مبدأ هو أن من يستعمل سلاحاً في معاركه ليس رجلاً.

وفوجئ بالحركة التي جاءت من خلفه كأنما نسي تتابع المشهد.. اندفع حاتم ليضرب يده الممسكة بالسكين بقطعة حديد كبيرة.. قاسية فطارت السكين من يده.. أحس بالألم

في موضع الضربة.. ولو كان له حرية الاختيار لأنقض عليه وأذاقه طعم لكماته، ولكنه سقط فوق الأرض متألما كما يقضي المشهد.

إندفع إثنان من الكومبارس نحو حاتم.. تظاهر حاتم بضرب الأول بقبضته ذات الخواتم الماسية في وجه الكومبارس.. لم يكد يمسه حتى اندفع الكومبارس إلى الخلف كما لو كان قد تلقى ضربة ساحقة وسقط يتلوى من الألم على الأرض.

أما الثاني فسدد له حاتم ضربة بقدمه، بالكاد مست القدم ذات الحذاء اللامع بطن الكومبارس فسقط على الأرض ملتوياً من الألم كأنه تلقى رصاصة في بطنه.

مشهد يصفق له الجمهور عادة وهم لا يدرون أي زيف قد احتواه. استدار حاتم نحو حمدي.. أمسك حمدي بخشبة ضخمة كما يتطلب المشهد، ولو هوى بها فوق رأس حاتم لأرسله إلى الجحيم في لحظة.. ولو أصابه بها في ذراعه لحطمها في التو.

ولكن المشهد كان يتطلب أن يضرب حاتم بالخشبة، فيقفز حاتم في اللحظة المناسبة مبتعداً، ثم ينقض على

حمدي ويسدد له لكمة في بطنه وأخرى في وجهه فيسقط حمدي على الأرض ثم يزحف مبتعداً هارباً تتبعه عصابته.

أي مهانة تنتظره ؟

طاشت ضربته كما هو محدد لها.. وتقدم حاتم نحوه بابتسامة ساخرة ليسدد له لكمة في بطنه فتظاهر حمدي بالألم وتقوس على نفسه بالطريقة التي يفعلها أعداؤه عندما يذوقون طعم لكماته.. وعاجله حاتم بلكمة أخرى في وجهه لم تمسه ولكن حمدي سقط على الأرض كما لو كان جبل قد اصطدم به.. مشهد لم يحدث في الواقع أبداً.. لم يحدث مرة أن سقط مهزوما بقبضة رجل ما.

زحف مبتعداً.. تبعه بقية الكومبارس بعد أن إنهال عليهم حاتم شريف ضرباً ولكماً.

وصاح المخرج بسرور : أستوب.. برافو حاتم.. معركة ممتازة.. برافو فاتن.

أحس حمدي بالمرارة تشمل روحه وتكاد تخنقه.. كادت عيناه تطفران بالدموع.. دموع الغضب.. ولكنه تمالك مشاعره وحبسها في صدره.. لكم يتمنى لو أنه واجه حاتم شريف في معركة حقيقية.. معركة خلف الكاميرا لا

أمامها.. وقتها سيريه كيف تكون اللكمات الحقيقية.

ناداه مساعد المخرج ثم تقدم نحو مجموعة الكومبارس وبيده كشف، ونقد كل منهم عشرة جنيهات أجرهم اليومي وقال محذراً : لا تتأخروا غداً.. احضروا هنا قبل الثانية عشر ظهراً فغداً آخر يوم في التصوير.

أمسك حمدي بالورقة الحمراء فأحس بملمسها كالجمر بين أصابعه. هذا هو ثمن هزيمته وسقوطه وزحفه فوق الأرض كدودة تعيش في الطين. رفض أن يغادر مكان التصوير مع بقية زملائه.. أخذ مكاناً بعيداً وجلس في صمت.

كان حاتم وفاتن يستعدان لأداء آخر مشهد في ذلك اليوم.. وقف كل منهما يحفظ دوره.. كان من المفروض أن يدور ذلك المشهد بعد مشهد انتصار حاتم على العصابة.

صاح المخرج : كاميرا : استعدوا.. أكشن.

هرعت فاتن نحو حاتم.. تعبيراتها ناطقة بالألم والخوف، هتفت به : هل أصابوك يا حبيبي ؟

استدار حاتم نحوها وتألقت ابتسامته الشهيرة، وخصلة من شعره المصفف قد انسدلت فوق جبهته اللامعة فزادته

وسامة وبهاء، واجابها : انهم مجموعة من الجبناء، فروا مثل الأرانب بعد أن ذاقوا طعم ضرباتي.

قالت بلهفة : خشيت أن يكونوا قد أذوك.

أمسك بأصابعها بين كفيه وقال لها : في سبيلك أنا مستعد للتضحية بروحي. هتفت به : بعد الشر عليك.. لا أتصور الحياة بدونك أبداً.

همس يسألها : هل تحبينني حقاً يا فاتن ؟

لم ينتظر حمدي ليسمع ردها.. كان المشهد ناطقاً بالصدق.. كما لو كان الإثنان يقومان بدور حقيقي في الحياة ولا ترصدهما كاميرا وبشر صناعتهم محاكاة الحياة. استدار حمدي وغادر المكان صامتاً وهو يحس أنه يحمل فوق كتفيه جبالاً من الهموم والأحزان والمرارة.

« الواقع.. والأحلام »

حي السيدة صاخب ممتلئٌ بالحياة في المساء.. خطوات لا تنقطع وميدان السيدة الشهير بنافورته العريضة أمام باب المسجد العريق.. الميدان يتألق بوميض الأضواء المنعكسة عليه من كل الأركان.. وخيام الباعة والمريدين والزائرين قد انتصبت في كل الأركان استعداداً للاحتفال بمولد السيدة القريب، فبدا الميدان وما حوله صاخباً كأنما قد ارتدى ملابس العيد واضواءَه واستعد له بصخبه وضجيجه.

وصل حمدي سائراً على قدميه من مكان التصوير بالهرم.. كان يريد أن يسير ويسير بلا هدف.. وقادته خطواته رغماً عنه إلى المكان الذي وُلِدَ ونشأ فيه ولم يُحب مكاناً سواه.

توقف أمام عم جابر بائع الكباب.. ناوله العشرة جنيهات

واشترى بها نصف كيلو وقليلاً من السلطة.. تبقى منها قروش قليلة دسها في جيبه بصمت.

مر أمام قهوة « حنبولله ». نهض ثلاثة أو أربعة من أصدقائه ودعوه للجلوس معهم فاعتذر بتجهم وصمت.

تركهم واتجه داخلاً إلى الحارة الضيقة التي يعيش فيها. قال أحد أصدقائه بدهشة : ما الذي حدث لحمدي.. إنه يبدو شارداً مهموماً هذه الأيام.

رد آخر : هذا هو حاله منذ فترة.. لا أدري ما الذي رماه على هذا العمل، حمدي بوكس فتوة السيدة وبطلها يمثل في الأفلام ليضربه أشباه الرجال ؟

ضرب الآخر كفاً بكف وهو يقول: ما الذي استهواه في هذا العمل.. يوم يعمل وعشرة يتعطل بلا عمل.. كان من قبل يعمل في ورشة الحاج برعي كأحسن ميكانيكي سيارات، وكان يقبض أكثر من مائة جنيه في الأسبوع.. سبحان مغير الأحوال.. ربنا يهديه.

صعد حمدي السلم الضيق المعتم.. لمح قطة صغيرة بائسة هزيلة في أحد أركانه تموء بصوت موجع.. كانت صغيرة ومتألمة مثله.. لعلها جائعة أو مريضة.

انحنى عليها ورفعها بين ذراعيه في اشفاق بالغ، فكفت القطة عن المواء وراحت تنظر إلى عينيه بعينيها الصغيرتين المستجيرة، ثم أصدرت صوتاً خافتاً وهي تتمسح به وتقرب أنفها من لفة الكباب فعرف أنها جائعة.

مد يده ففتح لفة الكباب. أخرج قطعتين كبيرتين منها ووضعهما أمام القطة فانقضت عليهما تشبعهما عضاً وافتراساً وهي تموء بصوت مضحك.

ابتسم حمدي وأحس بشيء من الراحة والسكينة تغزو قلبه فواصل صعوده حتى وصل الطابق الرابع.. وضع مفتاح شقته في الباب وقبل أن يديره انفتح الباب المقابل له على الفور وبرزت في مدخله المضاء زيني.. زوبه.. تعيش وأمها صاحبة المنزل في الشقة المواجهة له.. أمها تملك أكثر من خمسة منازل وعدة دكاكين في الحارة، ويقال أن رصيدها في البنك تعدى المائة ألف جنيه وتنم الأساور الذهبية في يدي زوبه وحول رقبتها بمدى الثراء العريض الذي ينتظر من يكون زوجا لها.

قالت زوبة بلهجة دلال: مساء الخير يا سي حمدي.

تأملها حمدي كأنه يشاهد منظراً سينمائياً خالياً من

الحياة.. كانت واقفة أمامه وقد ارتكنت على الباب واستندت بذراعها عليه وانعكاس الضوء من خلفها جعلها تبدو كما لو كانت هناك هالة من النور تغمرها.. ذراعاها عاريتان والقميص بلا أكمام ينسدل إلى الأرض فلا يفصح عن شيء، ولكنه برغم ذلك ضيق يشي بتكويناتها.. ملامحها ناطقة بجمال فطري زاعق مثير زاده إثارة كحل عينيها وشفتيها المزججتين بالروج الأحمر الثقيل. وشعرها البني اللون المضمغ بالحناء استقر فوق كتفيها في وداعة وسكون. تحركت فاهتزت أساورها بصوت ذي بريق. وقالت معاتبة بدلال : لماذا تأخرت الليلة.. انتظرتك منذ ساعتين.

رد عليها بجفاء: لم أطلب منك انتظاري.

وأدار المفتاح في كالون الباب، فتحركت زوبة حتى صارت على مسافة شبر منه. وقالت بلهجة لوم : لماذا تعاملني بهذا الجفاء.. أنا زوبة.. زوبة التي يتمناها ألف رجل لتكون زوجة لهم.

تطلع نحوها بلا مشاعر قائلاً : وما الذي يمنعك من الزواج من أحدهم ؟

ردت هامسة : ألا تدري ما الذي يمنعني.. إنه أنت..

لماذا تصر على تجاهلي.. إنني أحبك يا حمدي.. أحبك منذ سنوات وأنت تتجاهلني.. هل تراني قبيحة أو دميمة ؟ .. هل تظنني فقيرة أو جاهلة.. لماذا أنت الوحيد الذي يتجاهلني دائما برغم إنني لا أحب إنسانا سواك. ؟

قال بوهن : أرجوك إنني متعب..

هتفت بسرعة ولهفة: سلامتك.. هل آتيك بالعشاء.. لدينا حمام محمر ولحم عجل صغير ذبحته أمي استعداداً لمولد السيدة.

رد بجفاء: أتيت بعشائي معي.. عن إذنك.

إنسل داخلاً وأغلق الباب في وجهها.. ووقفت زوبة وهي ترتعش لفرط الغضب. أغضبتها كرامتها المسكوبة واعترافها المهان بحبه.. أغضبها إنها حتى بعد أن وطأت ذاتها وأحنت كرامتها لتعترف له بحبها، فها هو يصر على تجاهلها ويعاملها كما لو كانت خُرقة مهملة لا قيمة لها. واندفعت إلى باب شقتها والدموع تكاد تطفر من عينيها، فوجدت أمها واقفة تنظر لها في صمت.

انفجرت زوبة باكية. وقالت لها الأم بلهجة مجربة : الرجل لا يحب الفتاة التي تطارده.

قالت زوبة في وسط دموعها : إنه لا يحس بي يا أمي.. لا يحس بحبي له. قالت الأم وهي تربت على كتف ابنتها : دعيه يا ابنتي.. تجاهليه فربما يجذبه ذلك إليك، فالرجل يحب أن يطارد فتاته لا أن تطارده هي.

أشرق وجه زوبة بالأمل قائلة : أتظنيين أنه سيحس بي يا أمي ؟

ـ إلا إذا كان يحب أخرى.. في هذه الحالة لن يحس بوجود أخرى في هذا العالم سواها.

غامت عينا زوبة واعتصر قلبها خوفٌ رهيب، هل يحب حمدي فتاة أخرى سواها، وهل بالسيدة زينب فتاة أخرى تضارعها جمالاً وثراء ليهيم بها هذا الغبي بذلك الشكل ؟

* * *

لم يمس حمدي الكباب.. ظلت اللفة على حالها ولم تمتد يده إليها.. جلس أمامها ووضع رأسه بين كفيه وغرق في أفكاره.

كان منظر فاتن،النجمة،لا يزال هذا المشهد عالقاً بذهنه وهي تتألم من لمسته لها، كأنه نقل إليها مرضاً معدياً، أو كأنه من عالم آخر غير دنياها. تنظر إليه كأنه كتلة

متحركة من اللحم والعضلات بلا أي مشاعر أو آدمية.. تنظر له بخوف كما ينظر الانسان إلى ثور قد ينفلت عقاله في أي لحظة.

وركبته ثورة شديدة فخبط المائدة بيده في عنف بالغ فحطم طرفها، وتناثرت لفة الكباب على الأرض وسال خيط رفيع من الدماء من يده.

كان يريد أن ينهض فيحطم المكان.. يريد أن يُفرغ ثورته المكبوتة.. يتخيل أن حاتم شريف موجود في كل الاشياء حوله.. يريد أن يحطمه.. يهزمه.. ينتصر عليه.. يرد معه اعتباره وكيانه.. يعيد إلى ذاته كرامته المهضومة. كاد يصرخ : هزمتني يا حاتم في الخيال.. ولكنك لا تستطيع أن تواجهني في الواقع.. إنني أستطيع أن أحطمك بقبضتي.. أحطمك وأجعلك تسقط ولا تنهض أبداً

وطالعته ضحكة حاتم شريف ونظرته الساخرة.. بوجهه الوسيم وبذلته الثمينة وحذائه اللامع وشعره المصقول.

وصرخ جزء في كيانه يدميه : كفى أيها الغبي.. كيف تقارن نفسك بالآخرين، أنت لست إلا كومبارس.. شخص هلامي لا قيمة له أو كيان.. لا أحد يحس بمشاعرك أو

كيانك.. لا أحد يسألك رأيك.. لا أحد يعاملك كإنسان.. ليس مطلوبا منك غير أن تتلقى الضربات والصفعات والركلات.. تسقط فوق الأرض وتزحف فوق الطين.. تأكل لقمتك مغموسة في مهانتك.

هتف جزء آخر في نفسه يسأله في مرارة : أنت الذي لم يهزمك انسان ما يا حمدي.. لماذا تفعل بنفسك ذلك ؟

ما الذي يدفع بك إلى هذه المهانة.. ماذا ستقول لأصدقائك وجيرانك وأحبائك عندما يشاهدوك على الشاشة وأنت تسقط زاحفا فوق الأرض، وهم الذين ما اعتادوا إلا أن يرونك منتصراً منتصباً فائزاً.

وسكنت كل الأصوات بداخله وظهرت ملامحها هي.. فاتن.. نجمة السينما.. اضاءت تقاطيعها عتمة المكان وبددت عبوسه، وعبقت بعطرها رائحته العطنة.. وبدأ يتذكر..

كانت المرة الأولى التي شاهدها فيها عندما كانت تصور أحد المشاهد بحي السيدة. ولم يكن قد شاهدها من قبل في السينما، فلم يكن من عادته دخول السينما أبداً. وقته موزع ما بين عمله في ورشة إصلاح السيارات

وبين الذهاب للنادي للعب الحديد أو الجلوس على القهوة مع أصدقائه. لم يكن يعرف أن في هذا العالم نجمة متألقة اسمها فاتن سلامة.. وأنها برغم تألقها ونجوميتها لا تتعدى العشرين من عمرها.. وأنها منذ ظهرت أول مرة على الشاشة حتى تألقت وصارت نجمة الشاشة الأولى وصار لها ملايين المعجبين. وكان طبيعياً أن تتقاسم بطولة أفلامها مع نجم الشاشة وفتاها الأول حاتم شريف.. يقولون أنه بلغ الأربعين ولكنه لا يزال يبدو كأنه شاب في الخامسة والعشرين بوسائل عديدة.

شاهدها حمدي أول مرة فبهت. صعقه جمالها. خدرته فتنتها. جمالها هادئ صارخ. مستكين عاتي. تجمع بين الرقة البالغة والأنوثة الطاغية. فتاة ليس لها مثيل في هذا العالم..

عندما وقع بصره عليها أحسّ أنها تجسد أحلامه.. أحلامه الضائعة التي لم تستقر أو تتشكل بعد.. لم تكن زوبة ضمن أحلامه.. ولا هدى ابنة صاحب الورشة.. ولا سيدة التي تسكن فوق الورشة ولا فتحية أخت صديقه حسن.

فتاة أحلامه كانت مزيجا من فتيات لم يوجدن في هذا

العالم. وكان عثوره على هذا المزيج في صورة فاتن سلامة ضرباً من الخيال والمستحيل.

وقف يشاهدها في تمثيلها مبهوتاً، وتتبعها في الأيام التالية في كل أماكن التصوير، ثم ذهب إلى كل دور العرض التي تعرض أفلامها. شاهد نفس الأفلام عشرات المرات، وحفظ حوارها في كل فيلم وكل مشهد. ملأ حجرة نومه بصورها التي كان يقتطعها من المجلات الفنية والجرائد.وذات يوم انكسرت قدم أحد الكومبارس في فيلم كانت تعمل فاتن به.. واحتار المخرج لإيجاد بديل فتبرع حمدي للعمل مكان الكومبارس، وقبل المخرج ذلك على الفور. كيف فعل ذلك.. كيف أقدم عليه.. كيف تحمل ضربات الآخرين وركالاتهم وإهانتهم ومعاملة الجميع له على أنه من طبقة أدنى ؟

لم يكن يهمه أي شيء في العالم إلا أن يكون معها.. ومن وقتها ترك عمله وصار كومبارسا، وانقطع عن أصدقائه، بل وحتى ناديه الذي كان يتدرب فيه على حمل الاثقال تخلى عن الذهاب إليه.

صارت هي محور حياته.. فحيث تكون يكون هو حتى

لو لمْ يكن له عمل هناك. وتحمل أيام التعطل وقلة النقود من أجل ألا يفارقها أبداً. وفي نهاية كل يوم تصوير تعود هي إلى بيتها في حي مصر الجديدة الراقي بسيارتها المرسيدس الأنيقة.. ويعود هو إلى السيدة زينب بالأوتوبيس محشوراً وسط عشرات المتعبين المكدودين مهضومي الأحلام.

وكان على استعداد أن يعيش عمره كله هائماً في عالمها.. متوارياً خلف ظلها محترقاً بلهيب حبها.. يعيش في كل مكان توجد فيه بلا أمل في الوصول إليها على الإطلاق.. يعيش بذلك ويرضى به بلا ألم أو حزن أو ندم. تشبعه ابتسامتها. تغذيه ضحكتها. ترطب أعماقه كلماتها. تُسكن الأمل في جوانحه نظرتها. تمنحه الصبر والسلوى والعزاء صورتها وهي ماثلة حية كائنة أمام عينيه تأكل وتشرب وتتحدث وتبتسم وتضحك.

شيء وحيد كان يعذبه في حياته.. حاتم شريف.. فتى الشاشة الأول ونجمها.. يقال أنه يقبض في بطولة الفيلم الواحد مائة ألف جنيه.. وأن لديه الملايين في البنوك.. صورة تتهافت عليها الجرائد والمجلات وتتباهى بأخباره وأحاديثه.. صورته تزين أغلب واجهات السينمات.. أفلامه

تحطم الأرقام القياسية في الإيرادات.. المنتجون والمخرجون يُسبحون بحمده ويترجون رضاه. أفلامه الأخيرة التي قام ببطولتها مع فاتن سلامة حققت من النجاح ما لم تحققه أي افلام أخرى.

ولم يكن كل هذا يعني حمدي في شيء ما.. كان ما يعذبه هو العلاقة التي بدأت تنمو بين حاتم شريف وفاتن سلامة وكان يرصدها بدقة.

لم تكن فاتن سلامة فتاة طائشة أو نجمة مغرورة.. كانت برغم جمالها وشهرتها فتاة متزنة عاقلة ذكية.. وكانت في بداية أفلامها حذرة من حاتم شريف.. ولا شك أن الكثيرين حذروها منه فقد كان حاتم شريف مشهوراً بغزراته النسائية المتعددة وقلبه المذبذب الذي لا يستقر أبداً.. وكانت فاتن تعرف ذلك كله وتتحاشى حاتم بعيداً عن الكاميرات. لاحظ حمدي ذلك.. فقد كانت تخشى على نفسها من وسامة حاتم ورقته وأدبه البالغ. كانت تضع الحواجز بينهما. كانت تعلم أن حاتم شريف نجم السينما لا يمكن أن يكون ملكاً لفتاة واحدة حتى لو كانت فاتن سلامة.

ولكن شيئاً فشيئاً بدأ ذلك الجليد يذوب بينهما.. مع

كل فيلم يصوراه معاً.. في كل مشهد ومع كل كلمة حوار.. جذبتها شباك حاتم شريف فبدت كما لو كانت فراشة هائمة توشك أن تلقي بنفسها في أتون ملتهب طلباً للضوء غير آبهة بالموت الكامن في جوفه.

بدأت فاتن تحب حاتم شريف.

وأصاب ذلك الاكتشاف حمدي في صميم أعماقه.. كان من قبل يرضى بحياته وتبعيته ودورانه في فلك حياته مثل ذرة شارد في مدار لا نهائي حول نجم لامع متألق.

صار يغار من حاتم شريف.. يكرهه.. لا يطيق أن يراه.. ولكنه كان مجبراً على التعامل معه.. وإلا ضاعت منه الفرصة الممنوحة له إلى الأبد.. فرصة أن يعيش هو الآخر قريبا من فاتن سلامة.. يستدفئ بنورها ويستظل بواحتها حتى لو كانت تبعد عنه أميالاً وأميال.

وكتم آلامه في أعماقه.

ولام نفسه وماضيه وتاريخه لأول مرة في حياته.

كان لاهياً قانعا بحياته، وصار يتوجع كل لحظة ويسأل نفسه: لماذا لا أصبح مثل حاتم شريف.. لماذا كُتب عليّ ان أولد في السيدة زينب لا في الزمالك.. لماذا كان قدري

أن يكون والدي عاملاً فقيراً وليس مليونيراً ثرياً يقيني شر العوز والحاجة ؟ لماذا كان مصيري أن أترك مدرستي قبل امتحان الثانوية وأعمل ميكانيكيا لإطعام والدي العاجز. ؟وعندما يموت الأب لا تكون هناك أي فرصة لإعادة التعليم أو إكماله.. لماذا صار قدري أن آكل لقمتي بشقاء يدي ومرارة عرق جبيني. ؟ لماذا صار هذا هو مستقبلي، وحتى أحلامي صارت مجرد أحلام لا سبيل إلى تحقيقها. !

لماذا.. لماذا.. لماذا.. ؟ !

كاد يضرب رأسه في الحائط غضباً وقهراً.. ولكن أي إنسان يستطيع مواجهة القدر ؟ وهل من إنسان سمع عن إنسان أنه هزم قدره بيده ؟ وكان قدر حمدي أن يعشق فاتن سلامة ويهيم بها.. وكان قدره أيضاً أن يتعذب بهذا الحب ويشقى به بلا أي أمل على الإطلاق.

وكانت هي أيضاً سلواه الوحيدة في أحلامه، حيث لا حواجز بينه وبينها، وحيث يستطيع أن يكون له جناحان يرفرف بها لأعلى حيث نجمته العالية في أقاصي السماء، فيبلغها مهما طالت المشقة، ويستكين بين ضفافها، في سكينة وراحة بعيداً عن واقع الحياة القاسي.

« معركة حقيقية »

صحا حمدي متأخراً :.. أيقظته الشمس الساخنة التي سقطت على وجهه.. كان النهار قد انتصف وتبدد الحلم الذي عاش فيه ساعات الليل. تذكر موعد التصوير وأصابه قلق طاغٍ، تجاوزت الساعة منتصف النهار بدقائق.. أسرع فغسل وجهه وارتدى حذاءَه واندفع يغادر الشقة. صادفته زوبة صاعدة السلم.. تجاهلته.. لأول مرة لا تحاول الحديث معه.. شملته بنظرة طويلة باردة واستدارت لتعطيه ظهرها كأنها لا تراه.. ولم تدر أنه حتى لم يلحظها واندفع هابطاً في سرعة شديدة. ووصل إلى مكان التصوير في الواحدة ظهرا.. لم يكن معه حتى ثمن التاكسي فاستقل الاوتوبيس ولذلك وصل متأخراً.

وهناك كانت ثورة بانتظاره.

أخـذ المخـرج يعنفـه بشـدة ساخـراً : لـم يبـق إلا الكومبارس.. حتى أنت يا زفت صرت تأتي متأخراً ؟

تجاهل حمدي تقريع المخرج.. وعرف أن حاتم شريف لم يصل بعد.. وأن المخرج يكاد يجن لذلك بعد أن ظل العمل متوقفا والجميع ينتظرونه منذ وقت.. وكانت فاتن سلامة جالسة في مكانها يبدو عليها القلق والشحوب كعادتها كلما تأخر حاتم، وأخذت تنظر الى ساعتها كل دقيقة، ثم ترسل بصرها نحو الطريق تنتظر ظهور سيارته.

أصاب حمدي ألم ممض.. أنها حتى لم تلحظ وصوله ولا شعرت بوجوده ولا ألقت ببصرها نحوه مرة واحدة.. وتجرع مرارته وجلس منزويا في أحد الأركان. إنه ليس أكثر من كومبارس.. نبات بلا أرض يعيش على ما ينبت حوله من نباتات ناضرة مورقة زاهية ترسل هامتها وأغصانها في وجه الشمس ويعمل الجميع على خدمتها واسترضائها.

أخيراً ظهرت سيارة حاتم شريف، وهرع المخرج إلى استقباله راسماً ابتسامة فوق شفتيه وهو يقول: حمداً لله على السلامة يا أستاذ حاتم. تساءل حاتم باسماً: هل تأخرت عليكم ؟

بسرعة أجابه المخرج : لا.. لقد انتهينا تواً من ضبط الكاميرات. وهرعت فاتن إلى حاتم، فاستقبلها باسماً، وتألق ثغرها بابتسامة ذهبية أضاءت وجهها كله وانهمك الإثنان في حديث هامس باسم كعاشقين مراهقين.

راقبهما حمدي بصمت.. وضح له الفارق.. لم يكن هناك أي مجال للمقارنة بينه وبين حاتم شريف، فلماذا يعذب نفسه بإصراره على أن يخطو بقدميه إلى أتون النار المشتعل ؟

أمسك حاتم بيد فاتن وضغط عليها برقة. لمحهما حمدي من مكانه البعيد، ولم يستطع أن يحول بصره بعيداً عنهما، وتمنى في هذه اللحظة لو اختطف محبوبته الملائكية وطار بها إلى أقاصي السماء.. تمنى لو نبت له جناحان كما في أحلامه وصعد بها إلى أعلى سمواته ونجومه. ولكن الأحلام تظل دائماً أحلاماً لا سبيل إليها.. وأصحاب الأحلام هم أكثر الناس عذاباً في هذا العالم، فهم طبقة المعذبين المحرومين الذين لا يملكون غير أحلامهم يحاولون أن يحققوا بها ما يشتهون، وفي اليوم التالي يقارنون بين أحلامهم وواقعهم المر فتزداد تعاستهم ومرارتهم. أما الذين

لا يحلمون فواقعهم هو حلمهم، يحققون فيه ذاتهم وأمانيهم وليسوا بحاجة لأحلام يهربون إليها من قسوة الواقع.. فحتى الأحلام التي يهرب إليها المحرومون لينعموا بها لحظات قلائل.. هي نفسها أحلامهم التي تشقيهم وتؤلمهم.

وأفاق حمدي من أوهامه على تعليمات مساعد المخرج له ولمجموعة الكومبارس.

كان المشهد المطلوب هو آخر مشهد له في الفيلم يظهر فيه.. يندفع هو وعصابته من الكومبارس نحو حاتم وهو خارج من منزله مع فاتن.. وتدور معركة بين حاتم وأفراد العصابة فيهزمهم حاتم جميعاً ثم تصل الشرطة في نهاية الفيلم للقبض على العصابة.. ويتزوج حاتم من حبيبته فاتن. استعد العاملون لتصوير المشهد واستعدت مجموعة الكومبارس.. وعلى مسافة وقف حاتم وفاتن يتناجيان في انتظار تصوير المشهد كأنهما لا يحسان بوجود العالم حولهما.

وبلا قصد وصلت كلماتها إلى حمدي.

كان حاتم يقول لفاتن برقة : سينتهي التصوير اليوم.

وردت فاتن باسمة :غداً نبدأ فيلماً جديداً.

عاد يقول لها : سيكون آخر مشهد لنا اليوم هو أجمل المشاهد.

تساءلت بعذوبة: لماذا ؟

رد وهو يمسح شعرها بعينيه : لأنه من المفروض أن نتزوج فيه.

ارتعشت أهدابها وأصابها قليل من الاضطراب، وقالت له وهي تحاول ان تتمالك نفسها : ولكننا تزوجنا في أفلام سابقة عديدة..

رد وهو يصوب نظراته الساحرة إليها : لم تكن مشاعري من قبل كما هي اليوم.

زاد اضطرابها.. وهمس حاتم لها مؤكدا : مشاعري اليوم تختلف..

أحس كأن هذا المشهد سيصبح حقيقة.

همست راجية برقة :حاتم.. أرجوك.

ضغط على كفيها وهو يقول بطريقته الساحرة : أحبك يا فاتن.. أحبك.. أحبك إلى نهاية هذا العالم.

تصاعد لهاثها المكتوم في صوت أشبه بالأنين..لم تكن

تمثل أو تفتعل، بل كانت مشاعرها الحقيقية تنطلق منها بلا قصد أو إرادة.

ارتسمت ابتسامة حاتم الساحرة فوق ملامحه الوسيمة وهو يردف: متى سنظل بعيدين عن بعضنا.. فاتن إنني أحبك ولا يمكن أن أتخلى عنك.. أريد أن أتزوجك.

همست من المفاجأة بصوت ينم عن منتهى السعادة : حاتم.. ماذا تقول ؟ عاد يؤكد بإصرار : هذه هي الحقيقة.. أحبك وأريد أن أتزوجك يا فاتن، ماذا تقولين ؟

شاعت في ملامح فاتن سعادة طاغية. تورد خداها ولهثت أنفاسها، ارتعشت أهدابها واتسعت عيناها كأنهما تودان لو احتضنته بداخلهما. أما شفتاها فمن المفاجأة غير المتوقعة لم تجد من الكلمات ما ترد به.

همس حاتم وهو يكاد يحتضنها : سنتزوج الليلة.. بعد التصوير.. سنحول التمثيل إلى حقيقة. كادت دموع السعادة تطفر من عينيها، وهمست بسرور لا مزيد عليه : لقد فاجئتني يا حاتم.. لم أكن أدري أن مشاعرك نحوي بمثل هذه القوة.

ــ سألتك أن تتزوجيني الليلة.. ماذا تقولين ؟

قالت وهي لا تكاد تستطيع ضبط مشاعرها : لماذا لا نؤجل ذلك قليلا. عاد حاتم يقول بإصرار طفل : الليلة..لا أحتمل الانتظار.. أرجوك أن توافقي..

همست بصوت معطر : موافقة.

شاع الرضا والابتسام في ملامح حاتم.. ولولا الواقفين حولهما لاحتضنها بقوة.. ها هو يوشك أن يحصل على الدمية الحلوة التي سعى إليها طويلاً.. ككثيرات غيرها سعى إليهم ثم لفظهم بعد وقت.. لا تدري أي مصير ينتظرها على يديه.. ستكون مثل تفاحة شهية يقضم منه قضمة ثم يلقيها تحت أقدامه بعد أن ذاق طعمها.

لم يحدث أن عمّر زواج حاتم شريف من أي فتاة أكثر من أسابيع قليلة ثم يكون الإنفصال.. لا يستطيع أن يستقر في عش دافئ أكثر من سويعات قليلة.

جن جنون حمدي.. كاد أن يصرخ بأعلى صوته.. يريد أن يحذرها.. يحذر ملاكه الطاهر.. يحذره من الشرك الذي ينساق نحوه بإرادته. كاد يصرخ فيها أن حاتم شريف لا يعرف الحب طريقاً إلى قلبه.. إنه مخادع لا يحب إلا نفسه.. صورة مزوقة تعيش حياتها كلها في تمثيلية

طويلة لا تنصب مشاعرها إلا حول ذاتها.

ولكن أي شأن له بفاتن.. أي إرادة يستطيع أن يفرضها عليها.. بأي حق يستطيع أن يمنعها.. ومن هو ليفعل ذلك ؟

ــ كومبارس.. استعدوا.

دوت صيحة مساعد المخرج فأعادته إلى مرارة الواقع، وأحمرت عيناه حتى صارتا بلون الدم وارتعشت أطرافه. همس أحد زملائه متسائلاً: حمدي هل أنت مريض. ؟

رد عليه بخشونة وغضب :ابتعد عني.

صاح المخرج : كاميرا.. استعدوا.. أكشن.

بدأ تصوير المشهد..

لم يشعر حمدي بنفسه.. كان يحس أن شخصاً آخر هو الذي يتحرك ويمشي.. شخص آخر لا ينتمي إليه هو الذي يقوم بأداء دوره.. شخص آخر هو الذي اندفع نحو حاتم.. وبدلاً من أن يتحمل ضرباته ولكماته أمسكه بغضب وغل شديدين وهو يصرخ فيه : لماذا.. لماذا.. ؟ !

ظهر الذهول في عيني حاتم، وقبل أن ينطق باحتجاج لتصرف حمدي، دفعه حمدي بقوة نحو الأرض كأنه يريد أن يطأه بقدمه.. يسحقه.

سقط حاتم على الأرض، وصاح المخرج غاضباً في حمدي : استوب.. ما هذا أيها المجنون.. ما الذي فعلته ؟

ونهض حاتم والغضب يتراقص في عينيه معربدا بجنون لا حد له، واندفع نحو حمدي صارخاً : أيها الحيوان الغبي.. ماذا فعلت.. لقد تسببت في اتساخ بذلتي.

وقف حمدي ذاهلاً لا يدري ما الذي فعله.. وأخذ يغمغم بكلمات مضطربة لا معنى لها وهو يعتذر للمخرج بأنه لم يكن يقصد ما فعله، وصاح به المخرج : اذهب إلى الأستاذ حاتم واعتذر له.

اتجه حمدي نحو حاتم مطاطئ الرأس.. وكانت فاتن قد هرعت إليه لتطمئن عليه وهو لا يزال يهدر غاضباً على ذلك « الحيوان » الغبي، وعلى أمثاله من الحيوانات الذين يأتون بهم للتمثيل أمام النجوم بدون أن يهذبوا طباعهم أولاً.

وأخذت فاتن تهدئ من ثائرة حاتم، على حين أخذ الكوافير والماكيير يعيدان تنسيق شعر النجم وإعادة رسم مكياجه.

توقف حمدي أمام حاتم.. كان الأمر يتطلب منه إعتذارا برغم أن الأخير وصفه بالحيوان.. وما كاد حاتم يلمحه

حتى صاح فيه بغضب شديد : ألا تزال هنا أيها الحيوان القذر.. ابتعد عن وجهي وإلا قتلتك.

قال حمدي بصوت مختنق : إنني آسف على ما حدث يا أستاذ حاتم.

ـ وهل مثلك يعرف الأسف أيها الجلف. ؟

وامتدت يد حاتم لتصفع حمدي في صفعة مدوية رنت كقرع الأجراس في محيط المكان.

بهت حمدي.. بوغت.. ذهل.. تحسس مكان الصفعة بلا وعي.. في حياته كلها لم يجرؤ إنسان على صفعه.. ذات مرة ألقى بنفسه في معركة ضد عشرة رجال لأن أحدهم سبه بوالدته.

الآن يصفعه شخص ممسوخ لا ذكر لرجولته.. يصفعه ويهينه ويصفه بأنه حيوان وجلف.. يصفعه بإحتقار كأنه حشرة حقيرة.. يصفعه ويطأ فوق مشاعره ويحتقر آدميته ويذبح انسانيته وكرامته.

يصفعه أمامها هي.. أمامها دون العالم كله ؟

جن جنون حمدي.. ارتجفت أطرافه وعربد غضب رهيب في مشاعره.. واندفع بلا وعي نحو حاتم، وأمسكه

من كتفيه بغضب رهيب وهو يصرخ فيه : أتصفعني أيها الحقير.. أتصفعني أيها القذر الذي يخفي قذارته بالعطور والمساحيق.. هل تظن نفسك رجلاً لتواجهني.. سوف أريك ثمن هذه الصفعة.

لمع الخوف والذهول والرعب في عينيّ حاتم.. كان موقف لم يجابهه في حياته أبداً.. حياته كلها أمام الكاميرا ينتصر فيها ويضرب جهة اليمين واليسار فيتساقط أعداؤه بلا جهد منه.. يتساقطون كالفراش المحترق.. وهو آمن مطمئن في دائرة الضوء ويتعالى التصفيق حوله.. يصير بطلاً ونجماً بلا مجهود.. الآن يطحنه الواقع بحقيقة لم تخطر بباله أبداً.. مواجهة لم تكن في حسبانه قط.. يخشى الهزيمة أمام فاتن.. يخشاها ويخشى المواجهة التي لم يتعودها قط.. الند للند.. موقف لم يوضع فيه من قبل أبداً.

صرخ حاتم محتميا بمن حولهم: إبعدوا عني هذا الكومبارس القذر.. الحشرة.. الحيوان.

اندفع خمسة رجال نحو حمدي وأحاطوا به من كل الجوانب ليوقفوا حركته، تكاثروا عليه، قيدوا ذراعيه وشلوا ارادته.

صاح حمدي بغضب شديد.. استعاد شخصيته الحقيقية.. ضاعت ملامح الكومبارس وانمحى مشهد زحفه فوق الأرض.. الآن عليه أن يثبت لهم أنه رجل.. رجل حقيقي بلا زيف أو رتوش.

اندفع بكل قوته رافعاً ذراعه لأعلى.. قذف بالمتكاثرين حوله فتطايروا في كل اتجاه كما لو كانوا وريقات شجرة يابسة أصابتها عاصفة هوجاء فبعثرتها في كل اتجاه.

واندفع حمدي بغضب شديد نحو حاتم، فتراجع الأخير بذعر لا حد له.. ذعر حقيقي لا زيف فيه.. لأول مرة ينقلب البطل إلى كومبارس يعاني مشاعر الإحباط والخوف والهزيمة والرعب.

أمسكهُ حمدي من ياقته. الياقة منشاة نظيفة لامعة، وجذبه حمدي من الكرافت الذي يساوي مائتي جنيه وصاح فيه بصوت رهيب ينضح كراهية وحقدا : هل دعوتني حيواناً وحشرة أيها الحقير القذر.. الآن سأريك ما ستفعل هذه الحشرة بك.

وامتدت قبضة حمدي مدوية كدانة المدفع نحو بطن حاتم.. وتقوس حاتم على نفسه وقد جحظت عيناه عن

آخرهما ممسكا ببطنه في ألم هائل.. وقبل أن يطلق صيحة الألم اصابته لكمة اخرى في فكه طوحت به إلى الخلف مترين فسقط فاقدا الوعي بفك سقطت منه ثلاثة اسنان وتدفق الدم غزيرا منه.

لم يكن مشهداً تمثيليا.. لأول مرة لا يكون حمدي كومبارسا.. ولأول مرة يسقط البطل مهزوما صريعاً لا قدرة له حتى على الزحف فوق الارض.

لم تستغرق المعركة اكثر من ثانيتين فلم يتح لأحد التدخل.. شلت المفاجأة الجميع وهم لا يصدقون ما حدث.. وكان أول من استعاد وعيه فاتن التي اندفعت صارخة بجنون نحو حاتم، وأخذت تهزه باكية بصوت متشنج ملتاع..ولكن حاتم لم يتحرك من رقدته وغيبوبته، واندفعت فاتن صارخة والألم يقتلها نحو حمدي، وصرخت فيه بغضب وحشي.. غضب لم يكن يدري أن له وجوداً في مشاعرها.. وأخذت تدق صدره بقبضتها الواهنة وهي تصرخ فيه ودموعها تمزقها : أيها المتوحش.. أيها الجبان.. أيها النذل.. كيف فعلت به ذلك.. كيف فعلت ذلك أيها المتوحش الذي لا قلب له.

واجهها حمدي بحزن.. بمرارة.. كيف يستطيع أن يشرح لها.. كيف يمكنه أن يفسر لها.. ماذا يمكنه أن يقول لها.. وهل ستفهم ما سيخبرها به ؟

صرخ المخرج في جنون : استدعوا الشرطة لهذا المجنون. ولكن حمدي استدار خارجاً من المكان ببطء وأكتاف مهدلة، ولم يستطع أحد منعه أو التعرض له، خافوا جميعاً من الوقوف أمامه. غادر حمدي المكان وقد تلاشى إحساسه السريع بالانتصار وانمحى في لحظة.

وشمله إحساس رهيب بالمرارة.. مرارة الحقيقة القاسية.. إنه لن يستطيع بعد الآن حتى أن يملأ عينيه بفاتن. لقد فقدها من حياته إلى الأبد.. فقدها وهي تكرهه كراهية لا حد لها.

في الحارة دعاه أحد الجالسين على القهوة قائلا : اتفضل يا بوكس.

كان الداعي أحد الغرباء عن الحي.. يأتي مع شلته ويسهرون في القهوة التي تتوسط الميدان ليغازلوا الذاهبات والرائحات.. لم يرتح حمدي لصحبتهم أو منظرهم من قبل.

تجاهل حمدي الدعوة التي وجهت إليه.

قال آخر ساخراً : يبدو أنه مسطول.. أو يظن أنه بعد أن صار يظهر على الشاشة ويضربه الجميع قد أصبح نجماً.

رد ثالث بسخرية أشد : لعله نجم البحر.

تعالت القهقهات من الجالسين..

إستدار حمدي لهم، وتوقف أمامهم وعيناه تنذر بالشر فوقفوا متأهبين.امتدت قبضة حمدي في غضب مكبوت نحو فك أحدهم فأطاحت به للوراء مكوما فوق أحد المقاعد. واندفع الباقون نحوه. كانوا ستة، تسلحوا بما وصلت إليه أيديهم من زجاجات مياه غازية، وهجموا عليه مرة واحدة.

أمسك حمدي بمنضدة كبيرة، دفعهم بها فأطاح بهم للأرض، ثم حطم المنضدة فوق رؤوسهم. حاول أحدهم النهوض فعاجله بلكمة شقت شفته السفلى لنصفين. واندفع آخر بزجاجة مياه غازية طارت رقبتها، فأمسك حمدي بيد مهاجمه، وبضربة من يده الأخرى أطاح بالزجاجة، ثم بضربة على رأسه ترنح مهاجمه للخلف وتكوم فوق الأرض. اندفع الباقون يجرون هاربين لاهثين والدماء تغطيهم. ووقف حمدي وحيداً في القهوة. وتجمع بعض الناس خارج

القهوة، فقال صاحبها بحسم : حمدي لم يخطئ.. هم البادئون بالغلط.

قال أحد الواقفين في استحسان : بركة يا جامع.. هذا سيقطع رجل هؤلاء الأوغاد من هنا.. كانوا لا يتركون فتاة تمر في حالها دون أن يعاكسوها.

وفي صمت اتجه حمدي إلى منزله بلا أي مشاعر.. كأن شخصاً آخر هو الذي قاد المعركة التي انتهت منذ لحظات.

« حشرة »

جافاه النوم..

ظل يتقلب فوق فراشه كما لو كان يتقلب فوق الجمر.. انزاحت كل الأحداث ولم يتبق غير صورتها أمام عينيه.. صورتها تصب صرخاتها في أذنيه فتكاد تصيبه بالجنون والصمم.

لم يكن يتصور أن يتسبب في أذاها وبكائها.. لم يتخيل أن تكون دموعها بسببه.. كراهية وغضبا ومقتا.

معاول تنهال فوق رأسه.. تصدمه.. تمزقه.. تقتله. صرخ بلا وعي.. كأنه على حافة الجنون.. انفجر باكياً بلا إرادة. لأول مرة يبكي منذ سنوات..منذ مات أبيه لم يبك أبداً.. دفن دموعه في بئر مشاعره الجدباء المقفرة.. لم يكن

يظن أبداً أنه قادر على أن يبكي مثلما يفعل أي إنسان حزين.

حزين هو حتى الموت.

حزين هو، فالإنسانة التي وهبته السعادة والحلم والأمل، هذه الأنسانة رد آليها صنيعها دموعاً وقلباً مكلوماً وتأوهات حزينة.

ضرب قبضته في الحائط.. كبت ألمه.. صرخ في ذاته : أيها المجنون. توقف في غضب ذاهل عندما قفزت الفكرة إلى ذهنه.. هل كان ضربه لحاتم تعبيراً عن مشاعره.. تعبيرا عن كرهه ورفضه ومحاولته منع الزواج المرتقب.. زواج حاتم وفاتن ؟ أم هل كان انتقامه من حاتم شريف بسبب إهانته له ؟ كثيراً ما أهانه حاتم شريف من قبل.. تحمله بصبرٍ كما يتحمل الجميع النجم الأول.. تحمله وابتلع إهاناته وسخريته.. كسى مشاعره بطبقة صلدة من الجلد لا تؤثر فيها الخدوش والجراح.

فما الذي حدث اليوم.. لماذا انفجر بركان غضبه كاسحاً مترعاً بحمم الغضب والكراهية.

لم يكن السؤال بحاجة إلى اجابة مجهولة، لقد خشي عليها.. خشي على محبوبته.. خشي عليها من حاتم شريف.

أراد أن يمنع هذا الزواج بأي ثمن.. يؤجله ولو لأيام أو ساعات قليلة. مشاعره الداخلية وعقله الباطن هو الذي دفعه إلى هذا التصرف بلا وعي منه. أفلت أعصابه وقد كان جبلاً بارداً وكتلة مستقيمة بلا مشاعر أو نتوءات، انفجر الصبر الراقد في أعماقه. بدا له بوضوح أنه يعشق فاتن سلامة ويعبدها. يصنع منها إلهة لحبه يجثو تحت أقدام محبتها.

الآن فقط يدرك أنه كان يعيش في حلم كبير..وهو لم يفق منه إلا بصفعة داوية.

كان يظن أن الحياة ستسير به طائعة لينة.. يكتفي بالتقرب منها ما دام لا يستطيع أن يربط حياته بها.. يكتفي برؤياها عن بعد ما دام لا يقدر أن يكون في مدى مشاعرها.. يكتفي بأن يسمع صوتها تحادث الآخرين متأكداً أنها تجهل صوته وتستنكر نبراته.

كان يعيش ويقتات ويرتوي من قربه إليها.. حتى وإن كانت لا تحس به.

اكتشف الحقيقة المرة.. إنه كان يضع فيها أملاً.. أملاً قد يجمعهما ذات يوم ! !

جنون.. جنون مطبق.. اكتشف ذلك متأخراً.

هل لهذا السبب ترك عمله وبدد مشاعره وأضاع أوقاته هرباً إليها.. هل كان يطمع أن تكون له يوما أو لحظة ما.. هل تصور أن يرتبط مصيرهما ويتحدا أبداً. ؟

جنون مطبق !

ولكنها الحقيقة التي ظهرت واضحة له.. وإلا فما الذي فجر مشاعره حين أدرك رغبة حاتم شريف في الزواج منها ؟

ألم قاتل ممض.

ألم رهيب لا يحس به إلا من اختبره وجربه.

ألم الإنسان الذي تصنعه الأقدار في منافسة مع الآخرين.. آخرين لديهم مؤهلات أكثر منه.. لديهم المال والوسامة والمستقبل.. آخرين يفوقونه في كل شيء.

وما الذي يملكه هو.. ما السلاح الذي يستطيع أن يبارز به حاتم شريف.. ؟ لا شيء.. لا شيء سوى الأحلام البلهاء والتصورات المجنونة.

إنه ليس أكثر من حشرة.. تماماً كما نعته حاتم شريف.. وعالم فاتن سلامة ودنياها البراقة لا مكان فيها للحشرات من أمثاله.

« متهم أمام النيابة »

صحا على صداع شديد.. طرقات كالمعاول فوق الباب وفي رأسه. اكتشف أنه كان نائماً فوق فراشه بالحذاء وملابسه كاملة.. حانت منه لفتة إلى جدران حجرته فوجد كل صورها ممزقة.

أصابه ذهول لا حد له.. صورها هي.. فاتن سلامة.. مبعثرة ممزقة وقد عبثت بها يد مجنونة فمزقتها وألقتها في كل الأركان.

من فعل ذلك.. ومتى.. وكيف ؟

أفاقه ذلك من تساؤلاته.. لا يمكن أن يكون أحد قد فعلها غيره.. ولكنه لا يتذكر متى فعل ذلك ولا كيف.. انمحت هذه اللحظة من ذاكرته تماماً.. كأنه أراد أن يحذفها من حياته إلى الأبد.. حتى صورها لا يريدها أن تذكّره

بها.. حتى اللحظة التي مزق فيها هذه الصور انمحت من عقله كأنه يريد أن يمسح كل ذكرى وإشارة تذكره بها.

زادت الطرقات عنفا على الباب.. فتحه فاندفع عدد من ضباط الشرطة إلى الداخل، أقلهم برتبة رائد، وأحدهم كان يضع يده فوق مسدسه تأهباً. من خلفهم لمح جمهرة من أهل الحي، أصدقاءه وجيرانه. وفي الأمام وقفت زوبة بوجه شاحب مفزوع وقد اختفت من ملامحها أنوثتها الطليقة دوماً. سأله أحد الضباط بخشونة : أنت حمدي عوض الشهير بحمدي بوكس؟ رد بنعم وهو لم يزل لا يفهم ما يدور حوله.. ذكرته اللحظة بأحلامه التي كثيراً ما كانت تحدث فيها أشياء لا يفهمها ولا يعيها.

هتف أكبر الضباط رتبة في الآخرين : اقبضوا عليه.

اندفع الضباط نحوه.. تمرد حمدي.. اندفع بجرأة نحو الضباط زاعقاً: لماذا تقبضون علي.. لست مجرماً.

قال الضابط ساخراً : ألا تدري لماذا نقبض عليك أيها الفتوه.. إن الممثل حاتم شريف يرقد في غيبوبة منذ الأ مس.

أحس بطنين النحل في رأسه.. مرئيات أخرى لا علاقة لها بعامله المادي تسبح في فراغ عينيه ومدى رؤيته..

الجيران.. الأصدقاء.. أهل الحارة.. مريدي السيدة.. قسم الشرطة القريب يتوسط الميدان.. حجرة الحجز.. المأمور.. س و ج.. حاتم شريف يرقد في غيبوبة.. هل كان هشاً إلى هذا الحد.. هل يمكن أن تتسبب لكمة في إلقاء رجل في عالم الغيبوبة.. أم هل كانت لكمة قاتلة أودعها كل كرهه.

لا يهمه حاتم شريف ولا يعنيه في شيء.. بل لعله كان سيسعد لو كانوا أخبروه أنه مات مثلاً. ما أحزنه هي.. فاتن شريف.

أخفى عينيه في مرارة..

تصورها واقفة أمام فراش حاتم تبكي.. ينفطر قلبها حزناً عليه.. تنسال دموعها شلالات تغرق أحزانها كل هذا بسببه هو.

همس مسترجياً كأنها واقفة أمامه : سامحيني.. سامحيني.

وأفاق على دموعه المرة المذاق.. لم يعد باستطاعته عمل شيء.

أمام وكيل النيابة قال أنها كانت مشاجرة عادية، وإن حاتم شريف سبه فاندفع ليلكمه، وفوجئ بمحامٍ داخل الحجرة للدفاع عنه.

افرج عنه وكيل النيابة بكفالة ألف جنيه، ولم يكن يمتلك جنيهاً واحداً منها، وفوجئ بأن زوبة دفعت له الكفالة، وكانت هي التي أرسلت له المحامي أيضاً. استقبله أهل الحارة بزفة.. زغاريد ورقصات مبتهجة.. وأحاط به الجميع في مظاهرة. سرت القصة بين الجميع. نشرتها الجرائد مع صورة كبيرة له. زادت القصة وأفاضت. تشعبت عنها تفاصيل لا علاقة لها بالحقيقة وهي تصف ما جرى بين النجم والكومبارس.

أهل الحي اعتبروه بطلاً.. أسعدهم أن ابن حيهم وقبضته لم ينحنِ لشخص مثل حاتم شريف.. لم تحن السيدة زينب رأسها لأبناء الذوات أصحاب الشعر المدهون بالكريمات والأحذية المصقولة.. أسعدهم أن واحداً منهم تصدى بقبضته لذلك العالم الآخر العالي المتعجرف االمتعالي. لا أحد منهم يعرف الحقيقة.

وبأعلى كان هناك صحفيان بانتظار حمدي.. التقط أحدهما الصور له.. ورفض هو الإدلاء بأي كلمة لزميله المحرر.

وكان من اللياقة أن يذهب إلى زوبة يشكرها.

استقبلته هذه المرة بقميص ذو أكمام طويلة أخفى حُسن

ذراعيها والتماعة جيدها.. شعرها كان مضفرا في ضفيرة طويلة كأنها طفلة كبيرة.. وجلست مستكينة أمامه ترنو إلى عينيه بصمت.. جاءت أمها بالقهوة فأخذ يشربها على مهل مفكراً.

واختلس نظرة إلى زوبة وهو يتساءل.. ترى هل تعرف الحقيقة في كل ما حدث.. هل استنتجت لماذا اعتدى على حاتم شريف.. هل قرأت في عينيه قصة حبه لفاتن سلامة ؟

خاطر آخر عجيب قفز إلى ذهنه.. هل يمكن أن تكون زوبة قد أحبته بنفس درجة حبه لفاتن سلامة.. هل يمكن ألا يكون بالنسبة لها مجرد رجل تريد اقتناصه زوجا ؟

ولكن.. لو كانت تريد زوجاً، أي زوج، لكان أمامها عشرات الرجال، أكثر منه وسامة ومالاً.. رجال يمتد أمامهم مستقبل عريض وترتص خلفهم أكداس النقود كلهم يتمنونها قل يتمنون مالها.

انتبه بدهشة إلى أنها لا يمكن أن تكون قد أرادته لنفسها إلا عن حب.. حب قاهر لا تستطيع أن تدفعه بعيداً عنها. حبها له مشابه لحبه لفاتن.. ولعلها كانت تتعذب وتتألم

في تجاهله لها.. لعلها كانت تعاني نفس مشاعره.

عجيب أمر هذه الدنيا.

إثنان لا يفصلهما عن بعض إلا بابان مغلقان، ولك منهما قلب ينبض بجنون. ولكن أحلامهما بعيدة. بعيدة. تفصلها آلاف الأبواب المغلقة، وليس هذان البابان فقط.

وأفاق على صوت أم زوبة تقول : ربنا يهديك يا ابني.. عسى أن تنتبه لحالك وترجع إلى عملك السابق.. أنت رجل صنايعي وكسيب، أصابعك يلفونها بالحرير.. وعلى رأي المثل « من ساب داره قل مقداره ».

قال بمرارة : معك حق يا ست أم زوبة.

عادت تقول : الجميع هنا يحترموك فلماذا هذه البهدلة لنفسك يا بني.. كفى ما حدث لك وانتبه إلى مصلحتك وأبدأ حياتك.. إن هناك ألف من تتمناك زوجا لها فلماذا لا تستقر ؟

أدرك أن المرأة تحوم حول هدفها، فقال بذهن شارد : ولكني لا أملك شيئا.

ردت المرأة بسرعة : الرجل الحقيقي لا يعيبه قلة المال.. وأنت رجل ولا كل الرجال.

قال وهو يشيح وجهه بعيداً : لا أقبل زوجة تنفق علي.

ردت تقطع عليه سبيل الهرب : لديك الشقة ويمكن بقليل من المال تجديد عفشها.. وستكفي صنعتك للإنفاق على بيتك.. ماذا قلت ؟

واجهته المرأة بلا لف أو دوران.. تريد إجابة قاطعة ونهائية.. نعم أم لا.. الحديث يخص زوبة ويعنيها وان لم ينطق أحدهما باسمها.

ألقى بصره نحو زوبة.. ضبطها تختلس النظر إليه بعيون واسعة متهدجة.. أصابها حياء وارتباك فهربت بعينيها لما تطلع إليها.

أدهشه سكونها المطبق وهدؤها الظاهر.. تعوَّد أن يراها جريئة مندفعة فما الذي بدَّلها بهذا الشكل ؟

قال كأنه ينعي حبه الحقيقي : زوبة بنت حلال.. لن أجد أفضل منها. ردت الأم بابتهاج : وأنت ابن حلال.. ولن تجد زوبة خيراً منك.

وأطلقت زغرودة عالية، ولمعت فرحة هائلة في عيني زوبة، واحسَّ حمدي في تلك اللحظة برغبة عارمة في البكاء.

« بطل شعبي »

تمت خطبة زوبة لحمدي في اليوم التالي مباشرة.

أقيمت ليلة كبيرة فوق سطح منزل زوبة دعي إليها المعارف والأحباب والجيران. وكثيرون جاءوا من كل مكان لمشاهدة حمدي بوكس الذي ضرب النجم حاتم شريف فأصابه بغيبوبة.

فوجئ حمدي بصورة زفافه منشورة في الصفحات الداخلية لبعض الجرائد اليومية في صباح اليوم التالي.

أدهشه ذلك.. لم يكن يعرف أن أخباره تهم أحداً في هذا العالم، وتناسى الامر كله.

كان الاتفاق مع أم زوبة على كل شيء.. الزواج بعد شهرين والعفش القديم في شقته سيتم بيعه وشراء عفش جديد ستساهم فيه أم زوبة.

استسلم حمدي لمصيره وقدره.. أشياء كثيرة لا يستطيع أن يغيرها مهما حاول فيها.. ولا يملك غير الاستسلام لها.. ويبدو القدر أقوى من أي إرادة بشرية.

وعاد حمدي إلى عمله السابق كميكانيكي في ورشة الحاج برعي.. وفي نفس الوقت صمم على إكمال دراسته.. والحصول على شهادة الثانوية ثم إكمال تعليمه الجامعي، فقدم أوراقه للثانوية العامة ولحسن حظه تم قبول أوراقه للدراسة الثانوية فامتلأ يومه بالعمل والمذاكرة ولم يعد فيه منفس للراحة أو التفكير. يصحو مبكراً ويذهب إلى ورشة الحاج برعي يقضي فيها طول نهاره ليعود مكدوداً في نهاية يومه لا رغبة له في محادثة أحد ولا حتى زوبة خطيبته.. ويقضي ساعة أو ساعتين في المذاكرة قبل أن يغلبه النوم لشدة التعب.

وكانت زوبة تعلم مشاعره وأن هناك أخرى في حياته يحاول نسيانها، وبغريزة الأنثى لم تثقل عليه.. كانت تعرف أن الأمر يتطلب وقتاً كي ينسى.. وكانت على استعداد لأن تمنحه هذا الوقت.

وفوجئ حمدي بعدها بأسبوع بصوره تحتل مساحة

ستة صفحات في إحدى المجلات الفنية مع حديث كبير.. تذكر ذلك المصور الذي التقط الصور له مع زميله.. وأدهشه ما كان مكتوباً على لسانه ولم يقله.

راح يقرأ بدهشة عظيمة ردوده على أسئلة الصحفي بأنه اندفع إلى الاعتداء على حاتم شريف لرد الإهانة التي وجهها له. وأنه قال أن الكومبارس ليسوا أقل إنسانية ومشاعر من النجوم وأنه بدونهم لا يكون هناك بطولة للنجم الذي لن يجد من يضربه على شاشة السينما، فهزيمة الكومبارس هي بطولة النجم والبطل.. وبدون هزيمة لأحد الطرفين لا يكون هناك فوز للطرف الآخر.

اندهش حمدي بشدة.. ذهل لما قرأ.. لم يكن قد قال كلمة واحدة مما هو مكتوب بالمجلة.. ولكن ما كان مكتوبا كان قد ردده لنفسه ألف مرة من قبل.. كأنما قرأ ذلك الصحفي أفكاره بالضبط.

وأثار نشر صور حمدي وحديثه في المجلة ضجة في الحارة وحي السيدة بأكمله. انقلب حمدي إلى نجم، واشترى الجميع المجلة وانتزعوا صوره وعلقوها فوق الحيطان والجدران وأبواب المحلات.. صارت هناك مظاهرة

تستقبله في ذهابه وإيابه من أبناء الحي.

وضايق ذلك زوبة.. كانت تريد من خطيبها أن يظل ذلك الميكانيكي الذي تتباهى عليه بما لها وتتفوق عليه بسطوتها حتى لا يذهب إلى فتاة أخرى.. أقلقتها نجوميته في الحي وغاظتها صوره المنشورة في المجلة. ومرة أخرى قالت لنفسها إنها موجة وستنتهي.. وسينسى الجميع تلك الحادثة.

وبعد أيام قليلة نشرت الجرائد خبراً عن تماثل حاتم شريف للشفاء وانه قرر السفر إلى الخارج لإجراء عملية في فكه لزرع ثلاث أسنان مكان المخلوعة، وأنه سيمضي فترة نقاهة يعود بعدها لاستكمال عمله الفني.

بعد أيام قليلة انفجر حدث آخر لا يقل دويا في حي السيدة زينب.. قررت سينما الأهالي عرض فيلم « البطل ».. الفيلم الذي ضرب فيه حمدي بوكس حاتم شريف !

وانقلب الحي رأسا على عقب وبات لا حديث للناس غير الفيلم المرتقب الذي سيعرض اليوم الاثنين وسيرون فيه ابن حيهم يصارع النجم حاتم شريف. وفي صباح يوم الافتتاح كان الزحام رهيبا استدعى وجود رجال الشرطة

لتنظيمه. ومضت قصة الفيلم.. وكانت المفاجأة المذهلة قرب النهاية.. تم حذف كل المشاهد التي صورها حمدي وتم إبداله بممثل كومبارس آخر ولم يظهر حمدي في أي مشهد بالفيلم.

وجن جنون المشاهدين خبطوا المقاعد وتعالت الصفافير وصيحات الغضب والاستنكار.. وانقلب الحال إلى فوضى عارمة من الغضب.

اندفع الجمهور يمزق المقاعد ويحطم السينما، وفي دقائق قليلة تحول الأمر إلى كارثة فشلت جهود الشرطة في إخمادها، وتحولت دار السينما إلى حطام ممزق مبعثر، ونال كل العاملين فيها علقة ساخنة كأنهم المسؤولون عما حدث. أذهل حمدي ما حدث.. أدرك أن الجمهور ذهب لمشاهدته هو لا لمشاهدة حاتم شريف.. ذهبوا ليروا ابن حيهم يضرب الفتى الأول والجان بريمير.. وعندما لم يشاهدوا ما ذهبوا لأجله ثاروا وحطموا المكان. وأصبح ما حدث في السيدة زينب وسينما الأهلي هو حدث الساعة. الساعة.

توافد عشرات المصورين إلى الحي والتقطوا مئات الصور

للسينما المهدمة وصور البطل حاتم شريف الممزقة المتناثرة في المكان.

وتدافع المصورون والصحفيون نحو ورشة حمـدي، فصوروه بملابس العمل.

وقال حمدي معلقاً على تحطم السينما أن الجمهور بات يرفض الزيف، يرفض الخديعة، ويريد أن يرى الحقيقة أمام عينيه، يشاهد ابن حتته وهو يناضل لرد اهانته واستعادة حقوقه وألا يظل أصحاب البذلات الأنيقة والأحذية اللامعـة والشعر المدهون هم أبطاله والمعبرون عن طموحه وأحلامه. قال بأن الجمهور يريد من الكاميرا أن تسجل الواقع الحقيقي والأشخاص العاديين أمثاله وغيره ممن يشقون ليحصلوا على قوت يومهم.. وأن أحداً لم يعد يقبل أن يرى شخصا بشعر مدهون ووجه مضمخ بالعطور وذقن ناعمة كالحرير يزيف واقعهم الحقيقي.

وانفض المولد بعد قليل.

وعاد حمدي إلى منزله. لم يطرق باب زوبة أو يلقي عليها السلام كعادته. لم يكـن يرغب في رؤيـة أحـد، كان يريد الإختلاء بنفسه فقد أدهشه ما حدث بشدة. اغتسل

ووضع عشاءه أمامه. وبعد أن أكل لقيمات قليلة أصابه الشبع.

طرق الباب بعد لحظات.. فتحه فوجد أم زوبة.. حياها ودعاها للدخول فقالت أنها اتفقت مع صاحب معرض للموبيليا على أن تتسلم الاثاث الجديد بعد أسبوع.

أحس حمدي أنها تريد أن تقول شيئاً خاصاً جاءت لأجله، وعرض عليها أن يصنع لها شاياً فقالت آنه من الأفضل أن يشربه لديهم.

وفي شقة أم زوبة اتضح الهدف.. تريد المرأة الإسراع بزواجه من ابنتها وتساءلت ما الداعي للانتظار وكل شيء جاهز.

قال أنه سيفكر في الأمر وردت هي أن المسألة ليست بحاجة للتفكير.

وظلت زوبة صامتة في عينيها تعبيرات شتى، تخشى أن تفقده، تخشى عليه من نجوميته الجديدة في الحي، تخشى أن تنسج أخرى شباكها حوله بعد أن تمزقت حبال الصيد لديها إلى أن اقتنصته.

وكان حمدي يدرك ذلك.. وكان يريد أن يطمئنها في مرارة إلى أن أي إمرأة أخرى لن تعيش في كيانه بعد الآن، وأن النساء كافة تتساوى عنده بعد أن فقد من أحبها

للأبد.. أراد أن يقول لها أنه سيتزوجها ليربط نفسه في دوامة يومية لا خلاص منها تمنعه من التفكير في الاخرى.. تلك التي كان سببا لألامها وأخزانها.

أراد أن يقول الكثير ولكنه لم ينطق بحرف.

وسألته أمها في النهاية : ما هو رأيك ؟

رد باختصار وجمود : ما ترينه.

ـــ على بركة الله.. اذن يكون الزواج الخميس بعد القادم.

لم يحاول حمدي مناقشتها، كان يشعر أن إنسانا آخر هو الذي يتحرك ويتصرف رغما عنه. وترك ذلك الآخر يعلن موافقته. ولكن عندما أرادت المرأة التلميح عن عودته للدراسة للحصول على شهادة الثانوية وأنه صار كبيرا على ذلك ولا حاجة إليه بها، انفجر فيها غاضباً معلناً أنه لن يتخلى عن دراسته وسوف يواصلها حتى يكمل تعليمه الجامعي.

وفوجئت المرأة بغضبه وحدته فسكتت على مضض.. فقد كانت تخشى أيضاً أن تباعد شهادته بينه وبين ابنتها.

ونهض حمدي أخيراً مغادراً المكان إلى شقته، واتجه إلى فراشه هرباً من الواقع الذي يساق إليه، أراد أن ينام هرباً من العالم كله.

« فوق السحاب »

ساقته قدماه إلى الاستديو رغما عنه.

لا يعرف كيف ذهب إلى هناك، ولا من أين استمد شجاعته للذهاب.. ولكنه لم يفق إلا وهو يخطو داخل المكان.

بدا وكان الجميع كانوا في انتظاره.. بدءاً من عامل الباب وحتى المخرج.. حياه الجميع برقة بالغة، بل أن بعضهم احتضنه في ود. المخرج ذاته صافحه في قوة هاتفاً : أين كنت يا رجل.. هل نسيتنا بهذه السرعة ؟

اندهش حمدي، وابتلع دهشته بسرعة وسأله: ولماذا حذفت مشاهدي من فيلم البطل ؟

رد المخرج وكأنه يعتذر : حاتم شريف هو السبب.. أصر على حذف مشاهدك وإعادة تصويرها مع كومبارس

آخر.. وضغط عليّ المنتج حتى وافقت.. أرجوك اعذرني فلا حيلة لي فيما حدث.

تفهم حمدي الموقف.. يكفيه اعتذار المخرج الواضح.. كان يعرف أنه لم يأت للحصول على اعتذار برغم الود الواضح الذي أبداه الجميع نحوه.. اندهش لتبدل موقفهم وترحيبهم به وقد كان يظن أنهم سيلقونه خارجاً.. بسرعة تألق مع الجميع مرة أخرى، وكان أكثرهم قد شاهد صوره في المجلة الفنية وقالوا أنه أدلى بحديث رائع، وقالوا أيضا أن تحطيم الجمهور لدار السينما أثبت أن له شعبية رائعة في حيه.. وأخذت حمدي نشوة فأخبرهم عن عودته للدراسة وقرب حصوله على شهادة الثانوية العامة ثم دخوله الجامعة كلية الهندسة بالذات، فأخذ الجميع يهنئونه بسرور ظاهر ويتمنون له التوفيق فأحس بسعادة غامرة. وأخذ يبحث بعينيه عنها.. فاتن سلامة.. كان يعرف أنها بطلة الفيلم الذي يقومون بتصويره.. أتى لمشاهدتها.. تماماً كالأيام الحلوة السابقة.. لا يستطيع الاستغناء عنها أبداً.. اكتشف أنه كالنبتة الخضراء الصغيرة بحاجة إلى الشمس والحرارة للنمو.. وكانت هي الشمس التي تمنحه الطاقة والنور

والدفء والأمل. أدهشه تأخرها.. لم يكن من عادتها التأخر أبداً.. دائماً كانت تسبق كل العاملين إلى الحضور.. فلماذا تأخرت كل هذا الوقت ؟

هل كانت تعرف أنه سيذهب إلى الأستوديو فرفضت أن تذهب حتى لا تراه ؟ وعاودته الذكرى المؤلمة تنهشه وتجرحه مرة أخرى وقد ظن أن جراحه قد اندملت في قلبه.. إنها حتى لا تريد أن يقع بصرها عليه.. إنها تكرهه إلى الحد الذي لا تحتمل فيه رؤيتها له ولو للحظة واحدة.

أصابته المرارة، واتجه بخطوات حزينة مثقلة نحو باب الخروج يريد أن يغادر ذلك المكان، عندما أوقفه دخولها.

شاهدها تبرز من الباب أمام عينيه.. فوجئ بها.. لم يتوقعها في تلك اللحظة. وبسرعة تمالك نفسه وحاول الهرب.. التواري.. ولكنها كانت أسرع منه. شاهدته فتعلق بصرها به.

اندفع بعيداً لاهثاً.. كأنه يهرب منها.. لا يجرؤ على مواجهتها.. لا يستطيع أن يرفع عينيه إليها. وكاد يتحرك حتى أوقفه صوتها وهي تناديه: حمدي. فأصابه شلل..
لم يصدق أذنيه.. لم يتخيل أنها يمكن أن تنطق باسمه

وأن حروفه الأربعة ستنطبع فوق شفتيها الملائكيتين يوماً ما.

خيل له أنه يتخيل.. يتوهم.. يصطنع عالماً غير موجود.. مارس على نفسه ضغطاً هائلاً محاولاً الابتعاد والتغلب على شلله.. ما كاد يخطو خطوة واحدة هرباً مرة أخرى حتى عاد الصوت الموسيقي العذب يناديه بترجي هذه المرة: حمدي.. من فضلك. توقف.. فتسمر.. وتصلب.. لم يكن نداؤها وهماً أو خيالاً.. لم يكن عالماً سحرياً كاذبا، صوتها حقيقة واقعة. استدار ببطء وذهول.. شاهدها تخطو نحوه.. تقترب.. تدنو.. يغمره شعاعها ويحيط به دفؤها.. تعطره أنفاسها ويسكره أريجها.

أخذت فاتن تقترب وهي تملأ عينيها منه.. تحتضنه برموشها.. تهدهده بابتسامتها.. تربت عليه بأنفاسها.. خيل إليه أنه ثمل.. ثمل حتى من قبل أن تقول له شيئا.. ثمل منذ النظرة الأولى.

توقفت أمامه لا يفصلها عنه إلا القليل.. همست له برقة لم يحلم بها يوماً : أين اختفيت يا حمدي.. لماذا ابتعدت بهذه الصورة المفاجئة ؟ خشي حمدي أن تكون تتحدث مع شخص آخر.. تلفت حوالـه.. خلا الأستوديـو من كل

العاملين.. كأنما انشقت الأرض وابتلعتهم.. أو كأنهم على اتفاق سابق.. ليس إلا هو وهي وحدهما في اتساع المكان. تأكد أنها تحدثه هو.. تسأله هو.

قال بتلعثم جاهد للتخلص منه : أنا.. كنت أظن أنك.. ظننت أنك.. ظننتك لا تريدين رؤيتي بعد ذلك الحادث الذي..

قاطعته برقة قائلة : بل هو الحادث الذي كشف لي عن رجولتك.. كنت وقتها غاضبة، وبعدها فكرت في الأمر فاكتشفت كم أنا غبية.. انجذبت إلى قوقعة ملونة زاهية قبل أن اكتشف أنها مليئة من الداخل بالديدان، والحجر الذي كنت أظنه لا قيمة له كشف عن أصالته ونفاسته.. ما فعلته هو الذي جلا الصدأ عن عيني، أرجوك، لا تبتعد عني.

تصاعدت أنفاسه حتى القمة.. لا يريد أن يصدق ما يسمعه.. يخشى أن يكون وهماً.. عالماً غيبياً. قال لاهثاً وصدره يعلو ويهبط : أتعنين أنك..

قاطعته فوفرت عليه مشقة التساؤل : أنا أحبك.

غمغم ذاهلاً : تحبينني ؟

ــ ولا أحتمل الحياة بدونك.. أرجوك.. لا تبتعد عني أبداً.

الأمر صدق إذن لا وهم أو خيال.. ها هي أمامه بكل كيانها.. بكل ذرة في تكوينها.. أمامه واقفة تعلن حبها له.. تسبقه في الاعتراف.. ليس هذا فقط، بل تطلب منه ألا يبتعد عنها أبداً.. لا تحتمل الحياة بدونه. كاد يصرخ من الفرحة.. يريد أن يطير.. يسبح في الفراغ.. يكاد يجن من السعادة.

فرحة لا يمكن أن توصف.. لم يجربها في حياته أبداً.. عرف طعم الحرمان والحزن من قبل، ولم يذق طعم الإرتواء والسعادة أبداً. أمسك بذراعيها، دار بها في الفراغ، دارت معه، وضحك عالياً، فجاوبته ضحكتها المجلجلة الصافية الرائعة.

إزداد المكان نوراً وبهاءً.. أنارت أقباس السعادة الآف من الشعلات المضيئة حولهما.. كأنما تجمعت حولهما آلاف وآلاف من أرواح المحبين تباركهما.

لم يصدق أنها تبادله نفس مشاعره.. تحس نفس أحاسيسه.. تدور في فلك عالمه.. المستحيل إذن قد يتحقق

في لحظة واحدة، فما أعجب الدنيا. هتف بها بفرح طاغٍ :
أحبك.. أحبك.. أحبك.

أنار وجهها عندما نطق بالكلمة. وكسى نورها كل الأضواء حولهما. أغمضت عينيها في نشوة، فاحتضنها وحملها بين ذراعيه. استسلمت كفراشة رقيقة، ومالت برأسها فوق كتفه تلوذ به.

وجد نفسه يعلو بها.. يرتفع.. يسمو لأعلى بلا جناحين.. أراد أن يعلو ويعلو إلى أن يصل بين قمم السحاب البعيدة حيث قرر أن يعيش معها هناك إلى الأبد.. حيث الصفاء والنقاء والطهارة.. فلا خطيئة في السماء.. واصل طيرانه حتى كادت الأرض أن تغيب عن عينيه.. خفيفا بلا وزن راح يصعد ويصعد بقوة عجيبة.

أصابته دهشة وهو يشاهد الأرض تتضاءل تحته.. أخذت تختفي وسط شغاف السحاب كأنها تتوارى خجلاً قبل أن تنمحي تماماً ويغيب كيانها، ولا يعود حولهما سوى ندف السحاب اللامع والنجوم البعيدة المضيئة.. فتح عينيه بدهشة.

كان نور الصباح يغمر حجرته. ووجد نفسه راقداً فوق

فراشه، وأصوات صخب وضجيج تأتي من أسفل النافذة وصياح أطفال يلهون وباعة ينادون على بضاعتهم وحركة لا تنقطع بأسفل..

كان فوق الأرض لا يزال..

كان يحلم..

اعتصر الحزن قلبه حتى كاد يخنق أنفاسه.. ظل يلهث بشدة.. عرف أنها كامنة بين ضلوعه وفي دمائه وأحلامه.. وأنه ابدا لن يتخلص منها مهما حاول أو قسى على نفسه.. وأن ذكراها ستظل تعذبه طالما ظل به عرق ينبض وقلب يدق.. كانت هي قدره.

« الكومبارس.. بطلاً ! »

استقبل أهل الحارة حمدي بزفة في الاسفل..

كل الجرائد اليومية نشرت ما حدث بالأمس وتحطم السينما وغضب الأهالي الجامح.. صورته كانت تحتل مساحة كبيرة في الصفحات الداخلية وفوقها عنوان « الكومبارس.. البطل » !

ولكنه لم يشاركهم فرحته ولا أسعدته الشهرة المفاجئة التي أصابته.. كان حزنه أقوى من أن تبدده أي لحظة سعادة.. شق طريقه وسط من أحاطوا به متجهاً نحو الورشة.

وهناك كانت مظاهرة أخرى بانتظاره.. صاح بالمتجمعين في غضب شديد : ابتعدوا عني.. لا أريد أن أرى أحداً.

وجم المهنئون.. أرادوا أن يتباهوا به.. هم الذين صنعوا انتصاره وأرادوا أن يحتفوا معه.. وعندما رأوا تجهمه وضيقه انصرفوا صامتين.

قال له الحاج برعي صاحب الورشة : هؤلاء ناس يحبونك.. وجاءوا لمشاركتك فرحك.

قال حمدي بمرارة : لم يعد في قلبي مكان للفرح.

هزه الحاج برعي من كتفيه بسرور بالغ وهو يقول : منذ الآن ستعيش حياة كلها سرور وفرح.. وستخلع هذه العفريتة الزرقاء وستكف عن الاستلقاء أسفل السيارات والتلوث بالشحم والبنزين.. ستصير بطلا حقيقيا ونجماً سينمائياً.

حدق حمدي في الرجل بدهشة بدون أن يفهم شيئاً.. وقال الحاج وهو لا يستطيع كتمان سروره: هناك شخص بانتظارك في مكتبي.. منتج سينمائي. ذهل حمدي.. لم يصدق.. وقاده صاحب الورشة إلى مكتبه. وبالداخل كان هناك رجل نحيل قصير القامة عيناه تشعان ببريق حاد.. صافح الرجل حمدي بقوة وهو يقول : أهلاً بالبطل الجديد.. إنني عبد الغني سرور المنتج السينمائي المعروف.

وأكمل صاحب الورشة: أنه يريد أن يوقع معك عقداً للتمثيل في السينما.. عقد بطولة.

تساءل حمدي ذاهلاً : معي أنا ؟

أجاب المنتج : أنك الآن شخصية مشهورة جداً ويكفي أن الأهالي حطموا السينما لعدم وجودك في الفيلم.. انهم يريدون أن يرونك بطلاً.. كل مصر تتحدث عنك ولا شك أن فيلما من بطولتك سوف يصنع منك نجماً وتصبح بطلاً في وقت قصير.

ــ أنا.. نجم ؟

ــ منذ هذه اللحظة لن تعتمد السينما على الوسامة والشعر المدهون بالكريمات والوجه اللامع المصقول.. ستكون أنت النجم الشعبي.. البطل الذي يعبر عن واقع هذه الطبقة التي عشت فيها والتي ساندتك وأيَّدتك، ستعبر عن مشاعرهم وطموحاتهم وآلامهم.. سترتدي عفريتة العمل في أفلامك.. وتظهر فيها كميكانيكي وعامل وموظف.. سوف أقلب مفاهيم السينما ونظرتها إلى البطل بك.

خشي حمدي أن يصدق ما يسمعه.. كان حلم الليلة الماضية يضطرع في ذهنه ويسبب له آلاماً لا تطاق.. كان يخشى أن يكون ذلك حلماً آخر.. وهماً جديداً.. الأحلام يمكن أن يتحقق فيها المستحيل.. ولكن الواقع صعب.. مر.. وهو أدرى بمرارته وقسوته.

مد إليه المنتج بالعقد قائلا : ها هو العقد.. عقد لمدة خمس سنوات.. سأنتج لك كل عام ثلاثة أفلام بأجر عشرون ألف جنيه في الفيلم.

أمسك حمدي مذهولاً بالعقد.. من شدة اضطرابه لم يستطع قراءة حرف واحد.

أشار المنتج إلى مكان خالي في نهاية العقد قائلاً : وقع هنا لتقبض مقدم أجرك عن أول فيلم.

ومد له قلم ذهبي فوقع حمدي باسمه بأصابع مرتعشة. وفتح المنتج حقيبته ومد إليه عشرة بواكي ممتلئة بالنقود وهو يقول: عشرة آلاف جنيه.. سأرسل لك السيناريو غدا لتقرأه مع المخرج. إنه الأستاذ سيد عرفة. أنت تعرفه طبعاً فهو مخرج فيلم « البطل »، الذي ضربت فيه حاتم شريف.. أما البطلة أمامك فسوف تكون فاتن سلامة.

سقط القلم من يد حمدي.. وحدق في الرجل القصير النحيل أمامه بذهول لا حد له.

« نجمة الحب »

ــ كلاكيت.. المشهد الأول من فيلم « نجمة الحب » خامس مرة.

وقفت فاتن أمام كشك الجرائد والمجلات في ملابس بلدية وقد ربطت شعرها بايشارب ملونٍ ، وتدلى من أذنيها قرطان ذهبيان كبيران، والتمعت فوق خديها حمرة خفيفة طبيعية بلا أدنى قدر من المكياج، وكانت رغم ملابسها جميلة بهية. وأخذت الكاميرا تستعرض الجرائد والمجلات بالتوازي مع أقدام حمدي في حذائه القديم وملابس عامل وهو يقترب ليتوقف أمام كشك الجرائد ويتصفحها، ثم يتبادل حديث قصير مع فاتن.. كان هذا هو أول مشهد في فيلم « نجمة الحب ».. وقد تم اعادته حتى الآن خمس مرات مما أدهش المخرج وكل العاملين في الفيلم. ما

الذي يجعل فاتن تضطرب هكذا وتفشل في حوارها البسيط وهي المعروف عنها مهارتها في حفظ وإلقاء أي حوار، ولم يحدث أن تسببت في إعادة تصوير مشهد أبداً ؟

تعلقت أبصار الجميع بحمدي وهو يقترب ويتوقف أمام الجرائد ويتصفحها.. وكان المفروض أن تبادره فاتن الحوار قائلة في غضب : إنها ليست مكتبة هنا يا أستاذ، ممنوع التقليب.

وبصعوبة جاهدت فاتن حتى قالت العبارة، قالتها باضطراب ووجه شاحب كأنها مريضة. وتطلع إليها حمدي. شاهد في عينيها قسوة وكراهية وهي تحدق فيه، كأنه سم زعاف تتجرعه رغماً عنها.. وكان المفروض ـ حسب السيناريو ـ أن يجيبها قائلاً : أنا آسف.. إنني أتصفحها فقط.. أتمنى لو أشتريها كلها ولكني لا أملك ثمنها.

عندئذ تنتزع فاتن المجلات والجرائد في غضب قائلة : من ليس معه لا يلزمه.. اذهب لحالك يا أخ واترك المجلات والجرائد لمن يملك ثمنها.

وقد تم أداء المشهد بالضبط.. غير أن أحداً سوى حمدي لم يشعر بلهجة العداء والاحتقار الكامنة في صوت فاتن

وهي تنطق بالكلمات.. كأنها تعنيه حقيقة.. تقصد ما تقوله.. تريد أن تصفعه وتقول له أنه ليس بأكثر من عامل جاء من أحد الحارات إلى دنيا ليست دنياه.

انتهى المشهد. وهتف المخرج : ستوب.. برافو فاتن.. راحة لإعداد المشهد التالي.

ابتعدت فاتن بدون أن تنطق وقد اكتسى وجهها قناعاً بارداً.. وجلس حمدي في صمت وأمامه كوب شاي بدون أن يمسه.. كان يعرف أن فشلها في تصوير المشهد من قبل كان بسببه.. يعرف أنها رفضت الوقوف أمامه بطلة للفيلم، وأنها اعترضت ألف مرة، وأن المنتج مارس عليها ضغطاً هائلاً، وأنها اضطرت للرضوخ في النهاية بعد رفض أسبوعين، بسبب عقد الاحتكار الذي وقعته مع المنتج.. وكان رفضها بطولة أي فيلم معناه تدمير مستقبلها لعدم تنفيذها العقد.

كان حمدي يعرف تماماً أنها تقف أمامه مضطرة كارهة.. تراه كومبارساً لا يزال، ليس هذا فقط.. انها بداخلها تكرهه.. تكرهه حتى أنها لا تطيق أن تراه بعد ما فعله مع حاتم.. حبيبها.

عجيبة أحلامنا ودنيانا.. ! !

لم يكن يتخيل أبداً أو يتصور أو حتى يحلم بأنه سيقف يوماً أمام محبوبته كبطل، كان اقصى ما يتمناه ككومبارس أن يقف ليمثل أمامها مشهداً أو اثنين بدون أن ينطق بكلمة، فالكومبارس عادة لا ينطقون في الافلام.. كان مجرد رؤيته لها يُحدث له نوعاً من الإشباع والإرتواء.. يكفيه أن يراها ويستشعر وجودها.. يتأمل حسنها ويحتضن بأنفاسه كيانها.. يطوق برموشه ذراعيها.. لم يحلم ويتخيل قط مشهدا يجمعهما معا في حوار أو حديث.

الآن ها هما يلتقيان الند بالند.. بطلان وليس بطلة وكومبارس.

الآن تتحقق أحلامه المستحيلة.. يناديها بإسمها وتناديه بإسمه.. يوجه إليها الحديث فترد.. يضحك هو فتبتسم هي.

يحدث كل ذلك ولكن أمام الكاميرا فقط. وفي مشاهد البروفة التي سبقت تصوير الفيلم.. تفعله وهي مضطرة كارهة.. عيناها تظهران هذه الكراهية والمقت حتى وهي تبتسم له.. كأنها تجلده بسياط سخريتها ونفورها.. لا تستطيع حتى أن تخفي مشاعرها أمامه.

اقتربت منه مجموعة من الكومبارس الشبان الذين سيصورون معه المشهد التالي، قال أحدهم: ما الذي يشغلك يا حمدي ؟

تجاهله حمدي. قال آخر : يا عم.. الأستاذ حمدي لم يعد منا.. أنفه أصبح في السماء
وقال ثالث ساخراً : غداً تعود الى الطين.. هذا هو مكانه المعتاد.

تمالك حمدي أعصابه.. لا يريد أن يندفع في عراك.. كان يعرف أنهم يكرهونه ويحقدون عليه لأنه أصبح بطلاً ونجماً.. يرى ذلك في عيونهم وإشاراتهم وأحاديثهم.. ولكن هذا كله لم يكن يضايقه بقدر ما يؤلمه تجاهل فاتن له.

وعادت عيناه تسبحان حول فاتن الجالسة بعيداً، فأحس أن قلبه يعتصر عصراً.. يحس بعذابه مضاعفا.. يلوم نفسه ألف مرة، لماذا قَبِلَ هذا العذاب وهذه المهانة.. كيف وافق على الاستمرار في تمثيل الفيلم بعد أن عرف برفضها في البداية.. كيف قبل أن يتحمل نظرات المهانة والكراهية في عينيها. يشعر أنه مسلوب الإرادة أمامها.. عاجز عن

اتخاذ أي قرار.. كأنها نار ملتهبة متقدة تكويه وتشويه، ولكنه لا يستطيع أن يبتعد عنها.

يعرف أن قلبها هناك معلق بآخر.. حاتم شريف.. تهفو إليه.. تحن له.. تنبض كل خلجة في كيانها باسمه.. مشاعرها كلها مترعة به.. أما هو.. .هو كيان تافه لا وجود له حتى وهو يقف أمام عينيها.. لا كيان له بداخلها لا مكان فارغ به.. وعليه أن يتعذب ويعذب نفسه ما دام قد قبل هذا الوضع.

ــ أستاذ حمدي.. أستاذ حمدي.

انتبه حمدي بدهشة.. كان مساعد المخرج واقفاً يقول له : نحن مستعدون لتصوير المشهد يا أستاذ.

أحس حمدي أن كلمة أستاذ تجرحه.. كأنها سكين خرجت من فم المساعد لتطعنه وتذكّره بأنه وحتى وقت قريب لم يكن أكثر من كومبارس.. كأن حروف الكلمة حية تتلوى فوق الأرض قبل ان تلتف حول رقبته وتخنقه.

نهض وهو يحس بأنه يعيش عالماً ليس عالمه.. عاوده إحساسه بأنه يحلم.. يحلم وهو مفتوح العينين هذه المرة.

اقترب من مكان التصوير بعد أن وضع الماكيير ــ عامل

المكياج ـــ بعض الشحم على يديه وملابسه لأداء المشهد المطلوب.. تجاهلته فاتن ولم تتجه ببصرها نحوه أبداً.. كان المشهد يبدأ بأن تنهي فاتن عملها وتجمع الجرائد والمجلات وتغلق الكشك وتستعد للعودة إلى منزلها، عندما يعاكسها عدد من الكومبارس الشبان ويضايقونها.. ويتصادف عودة حمدي من عمله فيدخل في معركة مع الشبان فيهربون من أمامه، وهنا تتجه إليه فاتن شاكرة وتبدأ صداقتهما التي تتحول إلى حب فيما بعد وحسب نص السيناريو.

ـــ سكوت.. سنبدأ الآن.. كاميرا.. أكشن.

ساد الصمت ودارت الكاميرات.. وأخذت فاتن تجمع الجرائد والمجلات لتضعها في الكشك.. وما كادت تنتهي من ذلك حتى اتجه إليها الكومبارس الشبان الخمسة والتفوا حولها وهم يتأملونها بعيونهم النهمة.

ويقول لها أحدهم : جميل وأبيض.

ويرد آخر : بياض وحلاوة يا قطة.

ويمد ثالث يده يمسك ذراعها فتصرخ فاتن وتدفعه بعيداً عنها. ويهجم عليها رابع وهو يقول : قطة صحيح.. ولكن يبدو أنها قطة مخربشة. ويحيط الخمسة بفاتن

ويحاولون جذبها من ذراعيها، وتصرخ فاتن وتدفعهم عنها بيديها ولكن صرخاتها تضيع عندما يكمم أحدهم فمها.. ويبدو أن الأمر سيتطور إلى الأسوأ..

وفي هذه اللحظة يظهر حمدي. وما أن يشاهد المنظر حتى يدرك ما يحدث فيندفع نحو الشبان الخمسة صارخاً:
ابتعدوا عنها أيها الجبناء

وعلى الفور يترك الشبان الخمسة فريستهم ويتصدون لحمدي، ويخرج كل منهم مطوة من جيبه لمواجهته.

والمفروض ــ كتعليمات المخرج ــ أن يتم تصوير المشهد، كما يحدث عادة مع تصوير مشاهد أي بطل.. ضربة في الهواء من قبضة البطل فيسقط الكومبارس صريعا حتى من قبل أن تمسه اللكمة.. أما تصوبيات الكومبارس الخمسة بمطواتهم فإنها تطيش دائماً حتى لا يصاب البطل.. كان هذا هو المفروض تصويره كما يحدث عادة في مثل هذه المشاهد.

ولكن ما حدث كان شيئاً آخر.

اندفع الشبان الخمسة نحو حمدي شاهرين مطواتهم وقد أخرجوها في وقت واحد، والتمعت في عيونهم نظرات

الكراهية والحقد والانتقام.. كراهية حقيقية وليست تمثيلا.

وأدرك حمدي الحقيقة على الفور، وعرف أن عليه أن يدخل معركته. ليست معركة سينمائية وضربات فارغة وتهويشات. بل معركة حقيقية يخوضها بسلاحه الوحيد. قبضته ضد خمسة من الشبان يحملون المطاوي ويريدون تمزيقه والانتقام منه. الانتقام منه لأنه أصبح بطلاً ونجماً على حين ظلوا هم قابعين في المؤخرة.. أعداء ينبتون له فجأة من رحم الكراهية والحسد والحقد.

اندفع الشاب الأول نحو حمدي وكاد يغرز مطواته في جنبه، فقفز حمدي مبتعداً عن نصل المطواة في اللحظة المناسبة. وبحركة بارعة امتدت قدمه لتطيح بالمطواة وتسقطها بعيداً عن يد الشاب، وامتدت بعدها قبضة حمدي كالصاعقة نحو فك الشاب الذي ارتج جسده، كما لو أن شحنة كهربائية صعقته بألف فولت ثم تهاوى فوق الأرض بلا حراك.

واندفع الثاني مزمجراً، وأمسك حمدي بيده الممتدة بالمطواة ثم ثناها، وبسيف يده أسقطها من يد مهاجمه، وبضربة هائلة في بطن الشاب جحظت لها عيناه.. وبضربة

أخرى انثنى الشاب على نفسه مقوسا قبل أن يسقط على الأرض بلا حراك.

واندفع الثالث والرابع معا وهما يزأران ويطوحان بمطواتهما.. و أحنى حمدي رأسه فطاشت الضربتان واختل توازن مهاجميه. وأمسك حمدي الاثنين من ياقتيهما قبل أن يستعيدا توازنهما، ثم خبط رأسيهما معا بقوة فدوى صوت الارتطام يقشعر له البدن.. وارتخت سيقان الشابين وسقطا بدون أن يتأوها.

صرخ الشاب الخامس بغضب قاهر، ولمع بريق الكراهية والحقد في عينيه واندفع نحو حمدي كثور هائج ممسكا بمطواته. وتحاشى حمدي الضربة المصوبة إلى قلبه، ولكن نصل المطواة مس ذراعه فأحس حمدي بألم حاد مكان الجرح الذي شق قميصه.

ولمعت عينا الشاب ببريق الظفر وهو ينظر إلى مطواته التي تخضبت بالدماء.. وذهل حمدي لحظة، واستغل الشاب الفرصة فعاود اندفاعه الجنوني نحو حمدي.. وساد المكان سكون وذهول، والجميع لا يصدقون ما يحدث أمامهم.. وتحاشى حمدي الضربة المسددة له.. وأمسك ذراع الشاب

بقبضته.. وتواجه الاثنان لحظة. بدا الشاب مذعورا وهو يحاول تخليص يده من ذراع حمدي التي أطبقت عليه بقوة قاهرة. واندفعت قبضة حمدي كالدانة نحو بطن الشاب فتقوس في ألم شديد.. ورفعه حمدي من ياقته وحدق في الوجه المتألم لحظة.. وبضربة رأس هائلة كدوي المطارق ترنح الشاب للخلف ممسكا برأسه كأنما انفجرت فيها قنبلة، ثم سقط فوق الأرض وهو يتلوى من الألم.

توقف حمدي.. استدار بعينيه ببطء نحو فاتن.. تلاشى إحساسه بالالم في ذراعه برغم خيط الدم الذي سال منه.

كان يريد أن يقول لها أنه فعل ما فعل لأجلها.. كأنه في معركة حقيقية دفاعا عنها، لأجلها هو مستعد أن يقدم حياته قرباناً وفداءً.

حدقت فاتن نحوه بوجه شاحب.. لمح في عينيها بريقاً عجيباً من الدهشة والحيرة والذهول، كأنها لا تصدق ما حدث وأنه صارع خمسة شبان مسلحين وهو لا يملك غير قبضته.. تعلق بصرها بذراعه الدامية.. ارتجفت شفتاها.. أحس في عينيها شيئاً من الإشفاق.

فجأة اختفت كل المشاعر من عينيها.. كأنما كانت

برقاً سطع لحظة قبل أن تكتسحه عتمة الظلام، ثم ارتسم في عينيها تعبير وحيد من الجمود والبرود. تقدمت نحوه وقالت بصوت يخلو من الحياة : لا أدري كيف أشكرك.. لقد انقذت حياتي. وكانت هذه هي عبارتها التالية في السيناريو.

قالتها بلهجة كأنها تصفعه على وجهه.. وأحس ببرودة كلماتها أشد ألماً من جرح ذراعه.. وتمالك مشاعره وقال لها : عليك ألا تتأخري في عملك إلى المساء حتى لا تتعرضي للمضايقات.

ردت باقتضاب : أكل العيش مر.

قال لها بألم ممض : هل تسمحين لي أن أرافقك إلى منزلك ؟

ردت كأنها تطرده : سأكون شاكرة لذلك.

ومد كفيه إليها ــ حسب السيناريو ــ ليمسك أصابعها، وشاهدها وهي ترتعش، وشفتاها ترتجفان كأنما سيدركها الموت. وأحس حمدي بألم هائل ولكنه واصل مد كفيه إليها، وقبل أن يمس أصابعها سحبت ذراعها بعيدا ووقفت

تحدق فيه بنظرة باردة جامدة. وتوقفت أصابعه في الهواء كأنها تتسول منها.

وببطء هبطت يده لأسفل مثل راية مهزومة منكسة.. وأدرك في هذه اللحظة أنه مهما فعل ومهما أصبح فإنه في نظرها لن يزيد عن كونه عامل وكومبارس بملابس ملوثة بالشحم وأصابع خشنة قاسية.. أنه ليس أكثر مما كان من قبل عندما ذعرت من لمسته ورفضتها.. هو في نظرها لم يتغير فيه شيئاً..

وابتلع مرارته ومشاعره المذبوحة وسار بجوارها.

سار الإثنان متجاورين.. تبعدهما آلاف الأميال والمشاعر.

وصاح المخرج : استوب.

واندفع نحو حمدي هاتفاً بفرح غير عادي : برافو يا حم.. يا أستاذ حمدي.. كان مشهداً رائعاً.. معركة حقيقية.. في حياتي لم أصور معركة حقيقية مثل هذه.. سوف تكون أصدق معركة صورتها في حياتي.. هؤلاء المجانين نسوا تعليماتي حتى ظننت انهن يريدون قتلك، ولكنك كنت بطلاً حقيقياً وقاتلتهم بشجاعة.

وأمسك بذراع حمدي وهتف بانفعال شديد : إنك

مصاب.. لقد جرحك أحدهم بمطواته.. هؤلاء الملاعين.

وصرخ في مساعديه : إسعاف بسرعة.

ولكن حمدي دفعه برفق قائلاً : لا عليك.. إنه جرح بسيط لا يستحق.

ــ ولكنه ينزف ؟ اعترض المخرج مستنكراً.

ــ قلت لك أنه لا يستحق كل هذا الاهتمام. سأربطه بمنديلي..

ظهرت الدهشة على وجوه الجميع.. كأن ما يحدث أمامهم يحدث لاول مرة..

أمامهم بطل من نوع غير عادي، نوع لم يتعودوا عليه أبداً.

وأحس حمدي بشيء من النشوة والدهشة.. خدرته نظرات الإعجاب في عيون الجميع.. ما فعله كان شيئاً بسيطاً ولكن هؤلاء القوم لم يعتادوه فبدا في نظرهم شيئاً خارقا..

وما لبث إحساسه أن خبا وفاتن تبتعد في صمت لتجلس بعيداً.

وفي هذه اللحظة دخل الأستوديو « حاتم شريف ». كان

دخوله مفاجأة للجميع.. وتصاعدت الصيحات المندهشة..

ــ أستاذ حاتم.. أستاذ حاتم كيف حالك.. متى عدت.

واندفع الجميع نحوه.. واندهش حمدي، متى عاد حاتم من الخارج.. ولماذا ؟

ولكن حاتم تجاهل المحيطين به واتجه نحو فاتن.. وما أن شاهدته فاتن حتى اندفعت نحوه بسعادة طاغية وقد أشرق وجهها وذابت برودته وهتفت به : حاتم.. متى عدت ؟

رد وهو يكاد يحتضنها الآن.. أتيت من المطار إلى هنا على الفور.

هتفت تسأله وعيناها مفتوحة عن آخرها بالسعادة : وكيف حالك ؟

ــ على أحسن ما يكون..

ونظر ساخراً نحو حمدي وهو يقول لفاتن : لم أكن أظن أن مستواك الفني سينحدر إلى هذه الدرجة حتى يشاركك البطولة كومبارس تافه.. لم أصدق الأمر عندما سمعت وجئت لاستطلاعه.

قالت بألم : سأشرح لك كل شيء يا حاتم.

وجذبته من ذراعه إلى ركن الأستوديو.

وأغمض حمدي عينيه ألماً.. واقترب المخرج يسأله في إشفاق : أستاذ حمدي، هل لا زالت ذراعك تؤ لمك.. هل استدعي لك طبيبا ؟

رد حمدي بهمس ومرارة : أرجوك.. إنني متعب جداً.. سأنصرف فوراً ولنؤجل بقية المشاهد إلى الغد.

واندفع حمدي خارجا من الأستوديو كأنه يهرب من موت مباغت وهو لا يكاد يرى أمامه. ووقف المخرج يضرب كفاً بكف وهو يقول : إنني لا افهم هذا الرجل.. شخص مكانه كان يطير من السعادة.

ومن ركن الأستوديو ارتفعت ضحكة حاتم شريف عالية بعد أن قصت عليه فاتن كيف أجبرت على التمثيل أمام حمدي، وأخبار المعركة التي جرح فيها فأخذ حاتم يضحك مسروراً لذلك.. وابتسمت فاتن وأشرق وجهها بالسعادة وهي تمسك بأصابع حاتم في شوق بالغ وتتأمل بعينيها اللؤلؤتين الصافيتين عينيه السابحتين في ألوان الطيف ووجهه الوسيم الباسم وشعره الأسود اللامع.. وأحست أنها لا تريد من الدنيا أكثر من سعادتها في تلك اللحظة.

« آلام مضاعفة »

تأجل زواج حمدي وزوبة..

أصر حمدي على تأجيل الزواج إلى ما بعد تصوير فيلمه الأول.. وفي الحقيقة فإنه تعلل بذلك كأنه يريد أن يهرب من هذا الزواج ولا يجد وسيلة إلـى ذلك. واضطرت زوبة وأمها إلى الموافقة على مضض وخوف.. كانت زوبة تخشى عليه من العالم المبهر الذي اقتحمه والدنيا الجديدة التي خطا بداخلها.. كانت تخشى أن يتحول حمدي إلى نجم سينمائي حقيقي، ووقتها لن يكون له حاجة إليها. وزاد من خوفها المبلغ الكبير الذي تقاضاه حمدي لبطولة أول أفلامه. وأحست أنه لم يعد بحاجة إليها.. أنه يستطيع أن يتزوج أي فتاة يتمناها، ويشتري أفضل شقة وسيارة من بطولة أفلامه القادمة.. وزاد خوفها

عندما أصر حمدي على أن يعيد إليها مبلغ الكفالة التي دفعتها له من قبل.

كان حمدي يعرف أن زوبة تحبه بجنون.. ولكنه لم يشعر نحوها بأي مشاعر. كان قلبه في ناحية أخرى، وبرغم الآلام والأحزان التي سببتها له فاتن فإن قلبه لم يتحول عن حبها أبدا.. كأنما قدره أن يحبها ويتعذب بهذا الحب. حاول أن يكرهها وفشل. حاول أن ينساها وفشل. حاول أن يتجاهل وجودها وفشل. وعاد يملأ حجرته بصورها في كل أركانها..

وعندما تكون أمامه لا يملك غير أن يصبح ذلك الإنسان الضعيف الواهن الذي يُضعفه حبه لها.

وعندما يبتعد عنها يتعذب ويتألم لاحداث اليوم السابق وتجاهلها له، بل ونظراتها الباردة والمحتقرة نحوه.

وتمنى لو اختفى عن عينيها إلى الأبد ليستريح من عذابه، ولكن حتى هذه الأمنية صارت بعيدة المنال.

ولم يتغير شيء في حياته.. والمبلغ الذي تقاضاه عن بطولة فيلمه الأول وضعه في حقيبة صغيرة في دولابه ولم يمسه.. لم يحاول أن يشتري ملابس جديدة أو سيارة

أو يبدل أثاث شقته القديم أو يغير من نمط حياته.

كان يحس كأنما هذا المال ليس ملكا له.. ومن أجل ذلك لم يمسه بغير الألف جنيه التي أعادها لزوبة.. بالإضافة إلى ألف جنيه أخرى أخذها في جيبه وذهب بها إلى مسجد السيدة زينب.. وهناك كان عشرات المتسولين والبؤساء والعرايا.. ومد حمدي يده بالمال يوزعه عليهم وهو يحس كأنه يعيد إليهم حقا من حقوقهم وأنه يفعل واجباً مفروضاً عليه.. وأسعدته نظرات المحرومين وهي تتطلع إليه بشكر وامتنان وهي تحس بدفء مشاعر إنسان يحس بالآمها واحتياجها.

وتندت عيناه بالدموع وتذكر أيام حرمانه السابقة.. لا يعرف إنسان مثله مرارة الحرمان وقسوته، كانت حياته قاسية جدباء حتى من إنسان يواسيه بكلمة حنان. ومضت أيام التصوير.. مضت بعذابها وآلامها.. كان حاتم شريف حريصاً على أن يحضر التصوير كل يوم.. كان يتعمد أن يكون في الأستوديو في كل لحظة برغم مشاغله الكثيرة، بل أنه قام بتأجيل تصوير فيلمين له حتى لا يشغله شيء عن حضوره للاستوديو.

وأثناء التصوير كانت سخرية حاتم شريف تنطلق لاذعة مؤلمة نحوه، تسخر منه ومن ملابسه وهيئته وتذكّره بالمكان الذي جاء منه.. كان يشعر بعداوة وكراهيةٍ لحمدي ولا يترك فرصة إلا ويُظهر فيها لحمدي هذه العداوة والاحتقار. وتجاهله حمدي وتحمل كل سخريته وإساءته مما دفع ذلك بحاتم شريف أن يتمادى أكثر وأكثر فكان يتدخل في السيناريو ليطلب تعديل المشاهد التي يظهر فيها حمدي وفاتن، فقام بإختصار أغلب الحوار الذي يدور فيها، بل وألغى بعضها.. كأنه يتعمد أن يبعد فاتن عن حمدي أو كأنه يقول له بأنه ليس أكثر من كومبارس لا يحق له أن يقف أمام البطلة النجمة. وكأنه يحس بما يدور في قلبه من مشاعر ويريد أن يجرحه ويدميه بأقصى ما يستطيع ويستمتع بتعذيبه.. كأنه يثبت للجميع أنه ــ حاتم شريف ــ حتى إن لم يكن بطلاً للفيلم فهو يستطيع أن يتدخل فيه ويعدل في أدواره حتى يصبح بطل الفيلم كومبارساً لا قيمة له.

وفي الحقيقة لم يكن هذا هو السبب الوحيد الذي يدفع حاتم للتصرف بهذا الشكل.. فقد كان في قرارة

نفسه يخاف من موهبة حمدي.. يخشى من نجوميته وتألقه.. يخشى أن ينافسه في أفلامه ويزيحه من مكانه، فقد كانت موهبة حمدي ظاهرة للعيون وأداؤه بارعاً، ومن أجل ذلك أراد حاتم تحطيمه في أول أفلامه ليسقط الفيلم ويفشل حمدي كممثل.

ولم يعترض حمدي.. كان يريد الإنتهاء من تصوير ذلك الفيلم بأي وسيلة.. لقد ناله من العذاب والجراح والأشواك الكثير في الأيام السابقة، وكان يريد أن يرتاح حتى لو كان الثمن ابتعاده عن فاتن إلى الأبد.. وقرر أن يكون فيلمه الأول هو فيلمه الأخير.

واحتفظ حمدي بقراره في صدره ولم يطلع أحد عليه، فقد كان يشاهد تحمس المخرج والمنتج وتشجيعهما له، وامتداحهما لأدائه خاصة وهما يريان فيه تمثيلا ممتازاً بارعاً، وقالا عنه إنه يمثل بفطرة وتلقائية كأنه عاش عمره كله ممثلاً متمرساً، أو كأنه نجم منذ عشرين عاماً.. ولذلك راح الإثنان يشجعانه بشدة ويخططان له مستقبله في سماء الفن ويجهزان الحملات الإعلامية لتلميعه ووضعه في الصورة اللائقة، ولذلك لم يشأ أن يطلعهما على قراره

قبل أن ينتهي من تصوير الفيلم، خاصة وأن حاتم شريف أعلن أن فاتن لن تمثل أي فيلم آخر بعد ذلك مع ذلك الكومبارس، حتى لو اضطرت إلى فسخ عقدها مع المنتج، ولو دفعت غرامة مليون جنيه.. فقد كان حاتم شريف يخشى من نجاحهما معا أو أن يستفيد حمدي من وجود فاتن سلامة معه في الفيلم فينجح الفيلم بسبب وجودها فيه، ولذلك أراد أن يفصلهما حتى لا يمثلا فيلما آخر معا.

وكنتيجة لإحساس حمدي بالمهانة كان قراره الداخلي بإعتزال التمثيل.. كان يحس بأن تلك الحياة الجديدة لا تناسبه.. يريد أن يعود ذلك الإنسان البسيط الذي يعمل ويكسب أجره يوماً بيوم.. يكره مشاعر الزيف والتمثيل، ولو كانت مجرد صورة لا أصل لها في الواقع.

وفوجئ حمدي ذات يوم بما هو منشور عن حاتم وفاتن في إحدى المجلات الفنية الشهيرة. لم يكن متبقيا على انتهاء تصوير الفيلم غير يومين فقط عندما وقعت المجلة الفنية في يد حمدي فسببت له ما يشبه الصدمة القاتلة. كان الخبر المنشور عن اتفاق حاتم شريف وفاتن سلامة على الزواج في آخر يوم تصوير في فيلم فاتن سلامة « نجمة

الحب » .. الفيلم الذي تقوم ببطولته أمام حمدي.. الكومبارس الرديء الذي صار بطلاً في غفلة من الزمان الغبي.. هكذا وصفته المجلة الفنية بسخرية شديدة.

أحسى حمدي بالطعنة غائرة في قلبه وبآلام لا تطاق في صدره.. ها هي مشاعر المرارة تتجدد مرة أخرى عنيفة عاتية.. ليس لأن المجلة وصفته بالكومبارس الرديء وعايرته بالماضي..

كانت مرارته وآلامه لأن حاتم شريف وفاتن سلامة سوف يتزوجان.. ذلك الزواج الذي ظن أنه قد أُلغي بعد ما حدث ومعركته مع حاتم. ولكن ها هو الخبر المنشور يؤكد الحقيقة الساطعة التي ظل يهرب ويفزع منها.. حب فاتن لحاتم ومصيره الطبيعي إلى الزواج

عادت آلامه تتجدد كطاحونة تهرسه بتروسها ورحاها، وتطحنه حتى تحوله إلى العدم..

ما أبشع أن يحس الإنسان بالإحتقار والإشمئزاز ممن يحبه.. وما أقسى وأشد ألماً من أن يستولي عدوك على أقصى ما تحب وتتمنى في العالم ؟

« مسرح الحياة »

اليوم الأخير في تصوير الفيلم.. مشهد واحد بقي تصويره ليكتمل الفيلم.. مشهد زفاف حمدي وفاتن الذي تنتهي به قصة الفيلم.

لم ينم حمدي الليلة السابقة.. كان يحس كأن ناراً متقدة في صدره.. يعرف أنه ما إن ينتهي تصوير هذا المشهد حتى تتزوج فاتن من حاتم.. يتزوجها هو في الخيال.. أمام الكاميرات.. ترتدي له فستان الزفاف والطرحة البيضاء.. يبدو وجهها مشرقاً سعيداً نابضاً بالفرحة.. ولكن فرحتها وسعادتها ليست له.. إنها مؤجلة الى اللحظة التالية.. حيث ترتبط بحاتم شريف إلى الأبد.

اتجه حمدي إلى الأستوديو يجر قدميه جراً.. يتمنى لو يتوقف الزمن وتموت عقارب الوقت فوق صفحة ساعات

العالم.. يتمنى لو تثبت الشمس في كبد السماء ويتوقف دوران الأرض.. لو أن العالم يصير إلى جمود وسكون وتلفظ الحياة آخر أنفاسها.

يتمنى لو كانت له القدرة على إيقاف عجلة الزمن.. حتى لا تأتي اللحظة التي تصير فيه فاتن لغيره.

استسلم حمدي لأصابع المكيير الذي أخذ يضع لمساته الأخيرة فوق وجهه قبل أن ينتهي منه.. وألقى نظرة إلى المرآة.. بذلته سوداء أنيقة وإن كانت ليست غالية، وربطة عنقه لونها أحمر دامي رشق في منتصفها دبوس لامع رخيص. شعره مصفف ملتمع ووجهه تسري فيه حمرة خفيفة من أثر أصباغ الماكيير.. ولكن شيئا وحيدا كان يكشفه ويفضح مشاعره الحقيقية.. عيناه.. في عينيه تزاحمت كل مرارة الدنيا.. تراقصت أمامه كجبال عاتية تنوء بها روحه وهي تخفيها في قلبه.

اليوم يفقد محبوبته ومعشوقته وإله حبه.. يفقدها وتضيع منه إلى الأبد ويمتلكها إنسان آخر.. فما أسوأ اللحظة المقبلة حيث تجلس بجواره في الكوشة، ولكنها تحلق بكل كيانها

حول إنسان آخر وهبته كل ذاتها، لتكون ملكاً له بعد لحظات قليلة.

وأفاق حمدي من أفكاره الحزينة.

كان مكان التصوير في أحد النوادي.. عدد كبير من المدعوين قد تراصوا فوق المقاعد والمناضد يضحكون ويأكلون ويشربون.. مقعد العروسين المذهبين في صدر القاعة.. وهناك فرقة مطربين وراقصين في أحد الأركان تستعد لإحياء الحفل.. والمكان مضاء بشدة عُلقت في أركانه عناقيد من اللمبات الملونة المبهجة.. تضيء وتنطفئ في مرحٍ متوالٍ.

ولكن ذلك كله بدا لعيني حمدي كأنه مأتم.. مأتم حبه وأمله الذي يوشك أن يُدفن في اللحظات التالية.

إقترب المخرج من حمدي وسأله : جاهز يا أستاذ حمدي ؟ هز حمدي رأسه بنعم، تمالك نفسه ليسأل المخرج : هل وصلت فاتن ؟

ــ اتصلت منذ قليل وقالت انها في الطريق إلى هنا.. أظن أنها ذهبت للكوافير الخاص بها، فبعد أن تنهي تصوير هذا المشهد ستذهب إلى حفل زفافها الحقيقي في الشيراتون.

ابتلع حمدي لعابه بألم.. أحس بثقل لحظات الإنتظار حارقة دامية.. وخفف من ضغط ربطة عنقه حول رقبته بعد أن أحس أنها تكاد تخنقه.. يشعر كأن يداً ثقيلة تجثم على أنفاسه وتكاد تنتزع روحه منه.

وتوقفت سيارة مرسيدس حديثة أمام مدخل النادي، فعرفها حمدي على الفور. وهبط منها حاتم بسرعة وهو يفتح الباب المجاور له وينحني باسماً في حركة تمثيلية يستقبل الهابطة منها.

وتهادت فاتن خارجة من السيارة في فستان الزفاف الأبيض كأنها ملاك أرضي يشع ضياء ونوراً.. وحملق فيها حمدي عن بعد وقد شحب وجهه وتسارعت أنفاسه كأنما أخذته حمى..

وبدت فاتن كما لو كانت ملكة في فستانها الأبيض الثمين المطرز بحبات الترتر في جنباته، وحبات اللؤلؤ الأسود الصغيرة فوق أطراف أكمامه.. وعدد من الأحجار الماسية الثمينة قد تراجعت في مقدمته أسفل جيدها.. على حين كان تاجها الأبيض وخلفه طرحته البيضاء ملتمعاً بحبات مماثلة من الماس المصقول المبهر الذي تراقصت وتكسرت

فوقه آلاف الألوان في مهرجان صاخب من الالتماعات الخاطفة.. كما تدلى من أذنيها قرطان كبيران واحتل رقبتها عقد آخر من حبات الماس الثمين.

كانت فاتن تحمل مجوهرات لا يقل ثمنها عن مليون جنيه.. مليونين.. ثلاثة.. من يدري.. أن والدها مليونير يمتلك العديد من الشركات والمصانع وهي ابنته الوحيدة، ووريثة كل ملايينه.. ولم يكن اشتغالها بالتمثيل إلا لإشباع هوايتها، فهي تنفق على ملابسها وحليها في أفلامها ما يزيد عن أجرها.

وأحس حمدي بضآلته.. أحس بتفاهته.. أحس بأن لا وجود له في هذا العالم المبهر الرائع.. ظل يذوب ويذوب في مكانه حتى شعر أنه يتلاشى ويتبخر ولا يعود له أي كيان مادي.

أين هو من عالمها السحري.. عالمها الفتان.. عالمها المبهر.. عالمها الماسي المتألق. ؟

اقتربت فاتن وهي تخطو كأميرة.. ملامحها مشرقة ناضرة وثغرها قد افتر عن ابتسامة سعادة لا حد لها.

تجاوزت فاتن حمدي بدون أن تلتفت إليه.. بل لعلها

لم تلحظه رغم أنه يشغل كياناً مادياً أمام عينيها.. وأصابعها اللدنة الرقيقة الساحرة مسترخية في يد حاتم شريف.. حاتم شريف الذي بدا كأمير أو فارس من فرسان العصور الوسطى.. ببذلته الأنيقة الثمينة وساعته الماسية تتألق في معصمه ووجهه اللامع المضمخ بالعطور قد اكتسى بسعادة لا حد لها.

أحس حمدي بدموعه تكاد تحرق جفنيه آلماً وعذاباً ولكنه كبتها بسرعة وحاول أن يتمالك نفسه وألا يُظهر شيئاً على ملامحه.

اكتشف في تلك اللحظة فقط عظم جنونه، لأنه حلم يوماً بأن تكون فاتن له.. ولو في الأحلام. وأدرك أن القدر الذي أعطاه الفرصة ليقف أمامها مشاركاً إياها بطولة آخر أفلامها، هذا القدر كان قاسياً أشد القسوة لأنه أراد أن يقرّبه منها، حتى يظهر له الفارق الحقيقي بين عالميهما. الفارق الشاسع المؤلم.. أنه لا يزال في دنيا محبوبته ومعشوقته كما رأته أول مرة كومبارساً تافهاً لا قيمة له.. ولا شيء يمكن أن يُبدل تلك الحقيقة حتى بعد أن صار بطلاً أمامها. انه في حياتها ليس أكثر من كومبارس.. شيء

مثل ملايين الأشياء التي لا قيمة لها تمر أمام عينيها فلا يستحق حتى مجرد الالتفات إليها.

وهتف المخرج : أستاذ حمدي.. سنبدأ تصوير المشهد.

انتبه حمدي من أفكاره واقترب في صمت من مقعد العروسين وهو يشعر كأنما شخص آخر هو الذي يفعل ذلك.

جلس حاتم وسط مقاعد المشاهدين، أما فاتن فكانت جالسة فوق مقعد العروس وعيناها مصوبتان نحوه تشعان أملاً وفرحاً.. مشاعرها مشاعر عروس حقيقية تنتظر لحظة سعادتها الأبدية.

جلس حمدي بجوارها وانكمش في صمت، وتمنى لو استطاع خلع ربطة عنقه.. يكاد يختنق.. يموت.. وهي بجواره لا تحس بوجوده.. بكل كيانها ترنو إلى بعيد.. حيث يجلس حاتم شريف.

وتمنى حمدي لو تنتهي تلك اللحظة بأسرع ما يمكن.. تنتهي بكل آلامها ومرارتها.. ولكنها لحظة، حتى وإن انتهت، فستظل ذكراها محفورة بعمق في مشاعره كنصل سكين انغرس في قلبه ولا سبيل لمحو أثره.

ـــ الكاميرات تستعد.. سنصور.. سكوت.. أكشن.

والتفت حمدي إليها ــ حسب تعليمات المخرج ــ مفروض أنهما عروسين أمام المشاهدين.. ورمقته فاتن بابتسامة.. انفرجت شفتاها عن ابتسامة حقيقية كأي عروس تبتسم ليلة زفافها.. ولكن ابتسامتها كانت ساخرة قاسية.. تذكره بأصله.. وضعه.. نشأته.. قيمته الحقيقية.. تسخر من ذلك القدر الذي جعل مثل ذلك الكومبارس يمكن أن يكون عريسها.. ولو في عالم التمثيل.

ونكس حمدي بصره.. لم يجرؤ أن يرفع عينيه إليها ثانية.. فهم ما قالته عيناها.. طعنته النظرة الساخرة في صميم مشاعره.. وبدا دوي وغناء الفرقة الموسيقية حوله كأنها عويل وصراخ يشق صدره ويعزف اللحن الجنائزي الأخير وهي تهيل التراب على أمله وحلمه وتدفنه ميتا في صدره.

ولم تلتفت إليه فاتن مرة أخرى.. ظلت عيناها مشدودتين مصوبتين هناك.. نحو حاتم شريف.. حبها الحقيقي.. الرجل الذي ملك كل مشاعرها وأحاسيسها فلم تعد ترى في العالم رجلاً سواه.. تنتظر بفارغ الصبر أن ينتهي تصوير

المشهد لتذهب إلى حفل زفافها الحقيقي.. وسعادتها الحقيقية.

وانتهى تصوير المشهد أخيراً.

وما كاد المخرج يهتف : استوب، حتى نهضت فاتن من مكانها.. لم تنهض بل قفزت.. هرولت.. اندفعت نحو حبيبها.

وكان حاتم بانتظارها في منتصف المسافة.. تلقفت أصابعه أصابعها.. وومض في عينيه بريق السعادة، فأشرق وجهها بفرحة لا حدود لها، وتألقت عيناها بسعادة باهرة.

وهمس حاتم لها : هل نذهب الآن إلى زفافنا الحقيقي ؟

أومأت برأسها كطفلة صغيرة توشك أن تدخل عالماً سحرياً.. والتفت حاتم إلى العاملين في الفيلم قائلا بصوت عالي: الجميع مدعوون إلى حفل زفافنا بالشيراتون.. الجميع.. فيما عدا الكومبارس طبعا.

وألقى بنظرة ساخرة محتقرة هازئة نحو حمدي وهو يقول عبارته الأخيرة ليريه أنه يعنيه هو.

ولمع السكون لحظة في المكان.. ثم دوى التصفيق من كل العاملين.

واندفع حاتم وفاتن يهرولان ضاحكين يغادران المكان إلى سيارة حاتم.

ابتلع حمدي إهانته.. ناله من العذاب والجراح ما يكفيه تلك الليلة.. عذاب سوف يعيش عليه عمره كله فيصبغ حياته بآلام لا تنتهي.

وسار ببطء ورأسه منكسة يغادر المكان.. زوبة تنتظره للاتفاق على ترتيبات حفل زفافهما بعد أيام قليلة.. سيتزوجها ليدفن مشاعره معها إلى الأبد ويعيش بقلب ميت لا يحس أو يشعر. وأمام عينيه انطلقت سيارة حاتم بسرعة وهي تزأر كالريح وعجلاتها تصفر على الأرض كأنها تطير فوقها، إلى الجنة الموعودة.

وفجأة حدث أمر مذهل على نحو مفاجئ.

فمن الأمام برزت سيارة نقل ضخمة تسد الطريق كأنها يد القدر تمد أصابعها معترضة في اللحظة الأخيرة.. وفوجئ حاتم بما حدث فاستدار بسيارته بأقصى ما يستطيع ليتفادى الاصدام بالسيارة الضخمة، فدارت سيارته حول نفسها واصطدمت مؤخرتها بمؤخرة السيارة النقل وتوقفت في مكانها وقد أصيب خزان وقودها، وراح الوقود يتسرب

منه، وقفز حاتم من نافذة سيارته وقد اصيب وجهه ببعض الجروح البسيطة وظهر الرعب والخوف في ملامحه كأشد ما يكون وسقطت باروكته فظهرت رأسه صلعاء بشعة لونها بني داكن من أثر مرض جلدي قديم أصاب رأسه بالصلع.

وحاولت فاتن فتح الباب المجاور فلم تستطع بسبب إنحشاره.. وصرخت تستنجد بحاتم.. وما كاد حاتم يقترب منها حتى دوى انفجار رهيب عندما اشتعل خزان السيارة النقل الممتلئ بالبنزين.. وأخذت فاتن تصرخ في رعب محاولة الخروج من السيارة التي انغلقت عليها كالمصيدة بلا فائدة، وقد حاصرتها النيران من كل جانب. وكان يستحيل عليها الخروج من نافذة باب القيادة التي قفز منها حاتم بسبب انبعاج سقف السيارة الذي فصلها عنه،كما كان يستحيل عليها الخروح من نافذة الباب المجاور لها بسبب تحطمه وإنبعاجه. فراحت تصرخ في رعب مفزع رهيبين منادية حبيبها : حاتم.. انقذني يا حاتم.. انقذني يا حاتم فسوف أموت.

ولكن حاتم زحف مبتعداً عن النار المشتعلة، ووقف

يرقبها بعيون واسعة مرعوبة وأخذ يبكي كطفل صغير عاجز لا حيلة له.

كان الموقف رهيبا. ووقف حمدي كالمشلول يشاهد النار وهي تلتهم سيارة حاتم التهاما، وفاتن بداخلها تكاد تشوي، ولا أحد يستطيع انقاذها أو يجرؤ حتى على الاقتراب من الجحيم المحيط بها.

وصاح أحد الواقفين في فزع : لو امتدت النار إلى خزان بنزين سيارة حاتم لانفجرت وماتت فاتن محترقة.

وانتبه حمدي، كأنما كانت تلك الكلمات هي العبارة السحرية التي جعلته يفيق من ذهوله وجموده، فاندفع يجري بسرعة نحو سيارة حاتم لا يبالي بالنار المحيطة بها من كل جانب.

وصرخ أحد الواقفين : ماذا يفعل هذا المجنون.. سوف يحترق وسط النار.

شعر حمدي بالنار تحاصره من كل اتجاه وتكاد تشويه ولكنه لم يعبأ بها، واخترق استارها ومد يده يحاول فتح باب السيارة، ولكنه كان مغلقا بشدة بسبب انبعاجه، وكان الصاج قد تحول بفعل السخونة إلى نار مشتعلة.

ولكن احساس حمدي بالالم انعدم تماماً، ولم يكن يدور في ذهنه سوى شيء واحد.. انقاذ فاتن.. أو الموت محترقاً معها.

وبكل قوته امسك بالباب وراح يجذبه محاولا فتحه بكل قواه.. ولسعته سخونة الباب وشوت أصابعه ولكنه واصل جذبه للباب بقوة قاهرة وهو يشاهد النار وهي تقترب من خزان البنزين في السيارة وتكاد تلتهمه.

وكفت فاتن عن الصراخ وحملقت في حمدي بذهول لا حد له وهي لا تصدق ما يفعله من امر خارق. وبدا لها في تلك اللحظة كملاك حارس قاهر لم تشوهه ذنوب الدنيا، أو كمارد عملاق قادر على فعل ما لا يقدر عليه سائر البشر. وكاد حمدي يصرخ من النار التي شوت كفيه وكادت تمسك به، وقبل أن يفلت أصابعه من الالم، عن الباب المشتعل، شاهد النار وهي تحاصر خزان البنزين ويمتد لهبها إليه..

وصرخ حمدي صرخة رهيبة وجذب الباب بكل ما استطاعت قوته، وانخلع الباب في يده مصدراً فرقعة عالية، كما لو أن كراكة حديدية انتزعته من مكانه بقوة عاتية.

وامتدت يدا حمدي لتختطف فاتن من جوف السيارة وحملها بين ذراعيه، واندفع يعدو بها مبتعدا عن اللهب التي تصاعد في كل اتجاه، وما كاد يبتعد عن دائرة النار حتى دوى إنفجار هائل وتحولت سيارة حاتم إلى كتلة من اللهب بعد انفجار خزان وقودها.

ووقف حمدي كالصنم لا يحس بجراحه وحروق يديه وهو يحمل فاتن بين ذراعيه، لا يصدق أنه استطاع إنقاذها في آخر لحظة.. وسالت دمعتان من عينيه.. ومدت فاتن أصابعها تمسح دموعه وهي لا تستطيع منع دموعها التي تجمعت وانسابت غزيرة فوق وجنتيها الشاحبتين وهمست له : أتبكي ؟

قال لها وهو لا يستطيع كبت دموعه : إنها دموع سعادتي لأنني استطعت أن اقدم لك شيئا.

قالت فاتن بصوت متهدج : لقد قدمت لي الحياة ذاتها.

أجابها بإعتراف لم يقدر على كتمانه : كان أهون عندي أن أموت محترقا.. على أن أعيش في عالم لا وجود لك فيه.

سألته فاتن بذهول وهي تملأ عينيها من ملامحه لأول مرة : ألهذه الدرجة تحبني ؟

أشاح حمدي بوجهه بعيداً وتحجرت الدموع في عينيه وهو لا يدري بماذا يجيبها، ولأول مرة بدأ يشعر بآلام جروح يده وأصابعه ولكنه كتمها في صدره.. ولأول مرة اكتشفت فاتن في ملامحه ومشاعره شيئا كان غائباً عنها.. شيئاً لا يُقدّر بمال.. رجولته التي كانت تنبض بها عروقه وعضلاته وملامحه ومشاعره.. رجولته الظاهرة البادية للعيان والتي لا يمكن أن يدانيه فيها إنسان، وتعجبت ذاهلة، كيف لم تنتبه إلى رجولته الطاغية الآسرة من قبل، وكيف قبلت أن تعامل رجلاً نبيلاً بمثل تلك المهانة والإزدراء التي عاملته بهما من قبل، وكيف أنه أنقذها من الجحيم المشتعل برغم كل ما سببته له من آلام.

وتساءلت باضطراب عظيم: ترى أي قلب يحمله هذا الرجل لينسى كل إساءاتها ويخاطر بحياته لإنقاذها.. وأي مشاعر قاهرة تربطه بها ؟

وتجمع حولهما عدد كبير من الناس والعاملين في الفيلم وهم لا يصدقون ما حدث. واقترب حاتم وقد استعاد باروكته وغطى بها رأسه، وهتف في حمدي غاضبا : انزلها من بين يديك أيها الغبي.. هل تظن انك فعلت شيئا خارقا ؟

لم ينطق حمدي، وتأمل حاتم بمرارة وصمت وأنزل فاتن من بين ذراعيه وهو يحس كأنه يتخلى عن روحه.. روحه التي رُدت إليه منذ لحظات قليلة.. وها هي توشك أن تغادره مرة أخرى.

ووقفت فاتن على الأرض، واقترب منها حاتم باسماً وهو يقول: حمداً لله على سلامتك يا حبيبتي.. هيا بنا فالجميع ينتظروننا في الحفل.

تطلعت إليه فاتن وارتسمت فوق شفتيها ابتسامة واسعة.. ابتسامة ساخرة لا حد لمهانتها.

وقالت له : تستطيع أن تذهب وحدك إلى هناك.

تساءل بدهشة : ماذا تقصدين ؟

ــ كنت أظن أنني سأتزوج رجلاً يمكنني الإعتماد عليه.. وحمداً لله أن الحقيقة تكشفت قبل فوات الأوان.

صاح فيها حاتم بغضب شديد : وهل ترينني لست رجلا ؟

ــ الرجل الحقيقي لا يترك حبيبته وقت الشدة ويبادر بالهرب والفرار ناجياً بنفسه. ونظرت إلى حمدي وقالت وعيناها تفيضان شكراً : كل عمري كنت أحلم بالرجل

الذي يكون مستعداً لأن يضحي بنفسه لأجلي.. الرجل الذي يحبني أكثر من ذاته.. وأطمئن في وجودي إلى جواره فلا أخشى أي شيء في العالم ما دام هو معي.. الرجل الذي يحميني لا الرجل الذي يتركني ويبادر بالهرب.. وقد وجدته أخيراً.

صرخ حاتم بجنون مشيراً إلى حمدي: هذا الكومبارس.. أتظنين أن هذا التافه الذي جاء من الأزقة والحواري رجلاً ؟

قالت مؤكدة: الرجولة الحقيقية لا تعترف بعمل معين أو مال كثيراً أو بيئة راقية، إنها كيان إنساني مليء بمشاعر عارمة وأحاسيس إنسانية، الرجولة مروءة وشجاعة وإقدام.. أرجوك.. ابتعد عن حياتي فلا أريد. أن أراك بعد الآن.. إنك الماضي الذي أريد أن أنساه وأمحوه من حياتي.

حملق فيها حاتم مذهولاً.. كاد ينطق ولكن الكلمات ماتت فوق شفتيه.. بدا الذهول عليه.. استدار وقد تهدل كتفاه وارتخت ذراعاه في عجز وهزيمة.. مشاعر جديدة يحس بها لأول مرة في حياته.. لأول مرة ترفضه أنثى وتهينه.. لأول مرة يحس برجولته ناقصة.. لأول مرة يشعر

أن هناك أشياء أخرى في الحياة أكثر قيمة من بذلته الأنيقة الثمينة وحذائه اللامع وباروكته المعجونة بالكريمات ووجهه المصقول وساعته الماسية وسيارته الفاخرة. وراقبه حمدي وهو يشعر بالإشفاق عليه لأول مرة. كأنه يرى نفسه فيه وهو جالس بالكوشة بجوار فاتن أثناء تصوير مشهد الزفاف وهو يعاني كل مشاعر الإنكسار والهزيمة أمام منافس آخر.

وهمست فاتن لحمدي : أرجوك.. احملني بين ذراعيك.

لم يفهم حمدي ما تقصد، عادت تهمس بنفس الطلب فحملها فوق ذراعيه، وعاودت همسها وشفتيها بالقرب من مكان قلبه في صدره : ان هناك من ينتظرون العروس في حفل زفافها.. والعروس لا يمكنها أن تذهب بلا عريس.

لم يفهم حمدي للتو ما تقصده فاتن.. كان المستحيل هو أن يكون ما قد فهمه هو ما قصدته بالفعل.. مستحيل أن تتحول الأحلام إلى حقيقة ويتبدل الواقع في لحظة واحدة.. مستحيل أن تنكمش النجوم بين أذرع الأرض وتنام في أحضانها.. مستحيل أن تتعانق السحب العالية في سمواتها مع هامات الأشجار الواطئة وتكسيها بفرحتها ووميضها.

كاد يسألها مذهولاً عما قصدته.. لا يستطيع أن يصدق.. يخشى على نفسه من الفرحة.. لا يحتمل صدمة أخرى، ولكنه ما كاد يهم بالكلام حتى عاودت همسها بصوتها الموسيقي العذب : أرجوك يا حمدي.. انهم ينتظروننا هناك.. دعنا نذهب إليهم ليشاركوننا فرحتنا وسعادتنا.

وأمالت رأسها فوق صدره وأغمضت عينيها.. كأنها تتعجل لحظات الهناء والسعادة وتحلم بها لتقربها منها، وأفاق حمدي من ذهوله.. لم يعد هناك من شك. بات الأمر حقيقة واقعة.. ووجد نفسه يعدو بها.. يطير بها.. خفيفة كانت فوق ذراعيه كأنها فراشة رقيقة.

وتعالى التصفيق والهتاف من كل الموجودين.. وراح حمدي يبتعد ويبتعد وعروسه فوق ذراعيه قد استكانت إلى رجولته وأطمأنت إلى صدق مشاعره.

وتذكر حمدي في تلك اللحظة حلماً قديما قد رآه.. حلما شاهد نفسه فيه وهو يحمل فاتنته ويطير بها فوق السحاب.. وها هو الحلم يتحقق أخيراً.. يتحقق كما تتحقق الأحلام بصورة لا تصدق.. تتحقق الأحلام طالما وراءَها

مشاعر مخلصة صادقة وإرادة قوية.. تتحقق طالما كان القلب الذي يحملها طاهرا نقيا.

وأشار حمدي إلى أول تاكسي صادفه قائلا : الشيراتون.

واندس داخل التاكسي مع فاتن، ولأول مرة يحس في حياته أنه لم يعد كومبارساً في مسرح الحياة.

نجمة الحب

كانت هي نجمة سينمائية شهيرة.. مثل البدر المنير في سماء الفن.. وكان هو « دوبلير » صغير.. لا رأسمال له غير فتوته وشبابه.. واحد وسط عشرات الآلاف الباحثين عن فرصة نجاح فوق الارض الصخرية القاسية.

وكان هو يحبها.. ولكن هل تتعانق السماء مع الأرض.. هل يهبط البدر المتألق من السما.. !! صخور الواقع وقسوته.. هل تهبط نجمة من عليائها لتغرف من قلبٍ أحبها وهام به لم يستطع أن يحلق في سمائها ؟

دار الجيل